أثر التيارات السياسية
على
العقيدة المسيحية

بقلم
د. هويدا فؤاد الطويل
المدرس بقسم العقيدة والفلسفة

مقدمة

إن الرسالات السماوية التى نزلت على رسل الله المصطفين تتضمن جميعها الدعوة الصريحة الواضحة إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين.

إذ الأصل الذى تقوم عليه الرسالات السماوية جميعها: هو الأيمان بالله وحده، وإفراده – سبحانه – بالربوبية، وتنزيهه – تعالى – عن الشريك والصاحبة والولد، وقد حمل هذا التوحيد كل رسالة وجعلته فى صميم دعوتها.

وما دعوة عيسى – عليه السلام – إلا واحدة من دعوات هؤلاء الرسل، وهذا عين ما أخبرنا به الله – سبحانه – على لسان عيسى إذ يقول: ﴿**وَقَالَ المَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾(١).

كما تأكد هذا الأمر من خلال أقوال أناجيل القوم الذين اعترفوا بها، واتخذوها كتاباً مقدساً لهم، حيث ورد فى إنجيل يوحنا قول عيسى فى خطاب الله هكذا: "**هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته**"(٢).

فقد أخبر عيسى من خلال هذا النص بأن الإقامة فى الجنة هى أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقى، وأن عيسى عبده ورسوله.

كما ورد – أيضاً – فى إنجيل يوحنا قول المسيح معنفاً قومه اليهود على عدم إيمانهم بالله الواحد إذ يقول: "**كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجد بعضكم عن بعض والمجد الذى من الإله الواحد لستم تطلبونه**"(٣).

(١) المائدة، من الآية ٧٢.
(٢) صح ٣/١٧.
(٣) صح ٤٤/٥.

وقد كثرت مثل هذه النصوص، وتضافرت تلك المعانى من خلال العديد من آيات أناجيلهم المعتمدة لديهم(١).

وقد شرح السيد المسيح دعوته هذه لتلاميذه الذين حملوا رسالته من بعده، وقد تضمنها إنجيله الأصلى الذى آمن به الحواريون كما نطق القرآن الكريم فى قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٢). وان امتدت إليه اليد بالتحريف الآن.

ومن المصادر المسيحية التى تؤكد وتؤيد ما سبق بيانه من كونه دعوته – عليه السلام – ما هى إلا دعوة صريحة لإفراد الله – سبحانه – بالعبادة والتوجه دائرة المعارف الأمريكية إذ نجدها لاتملك هى الأخرى إلا الإقرار بأن دعوة عيسى كانت قائمة على توحيد الله وعبادته ثم ما لبثت أن دخل عليها صنوف من عقائد أهل الشرك حتى إذا ما جاء القرن الرابع الميلادى كانت عقيدة التثليث المسيحى ونص ما ذكر كما يلى: "**لقد بدأت عقيدة التوحيد – كحركة لاهوتية – بداية مبكرة جداً فى التاريخ، وفى حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنيين، لقد اشتقت المسيحية من اليهودية، واليهودية صارمة فى عقيدة التوحيد، كما أن الطريق الذى سار من أورشليم (مجمع تلاميذ المسيح الأوائل) إلى نيقيه حيث تقرر مساواة المسيح بالله فى الجوهر والأزلية عام (٣٢٥م) كان من النادر القول بأنه كان طريقاً مستقيماً ...**"(٣).

(١) انظر: يوحنا صح ٢٤/٥، ٣٨/٦، ٤٠/٨-٤٩: ٥٠، ورسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس صح ٢٨/١٥، وإلى أفسن صح ١٦/١: ١٧، وإلى أهل رومية صح ٣٠/٣، وإلى أهل غلاطية ٢٠/٣، وإلى أهل تيموثاوس ٥/٢ ...

(٢) آل عمران، من الآية ٥٢.

(٣) ج٢٧، ص ٢٩٤، نقلاً من كتاب مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين، ص١٦٤.

وهنا نلاحظ: قول دائرة المعارف الأمريكية وما أشارت إليه من خروج هذه الدعوة الكريمة وتفريغها من مضمونها الأصلى الذى أتت مبشرة وداعية إليه.

فبالفعل لم تستطع تلك الدعوة الكريمة أن تحتفظ بما كانت عليه من بساطة ويسر وسهولة حيث ما لبث الأمر أن تغير بعد تغيب صاحب هذه الدعوة، وتلاحق عدة عوامل تشابكت وتلاقت لتخرج لنا تلك المسيحية الممسوخة المعالم، المنتهية الصلاحية.

وكان من أهم هذه العوامل والمؤثرات، هى المؤثرات السياسية، فهى أخطرهم دوراً على الإطلاق لذا كان تركيز بحثى هذا على ذلك الجانب بعينه لنرى سوياً كيف نسخت لنا تلك المسيحية الحالية، أو بمعنى أدق كيف أضحت المسيحية الحقيقية التى أسلفت الذكر عنها فى ظل تلك التيارات السياسية، ولكن قبل أن نتعمق فى هذا الأمر ونغوص فى أغواره، يجب أن نسجل ملاحظة هامة قد اكتسبت أهميتها من إجلائها للحقيقية وجعلها واضحة سافرة أمام الجموع.

وتلك الملاحظة: أنه فى عصرنا الحاضر قد بدأ الكثيرون يعيدون النظر فى التاريخ القديم فى ضوء ما ورثناه من كتب وما اكتشف من آثار وما حل من رموز، مع تغليب الجانب العقلى على الجانب العاطفى حين الكتابة، وتقديم النظرة الشمولية على النظرة الجزئية عن طريق الجمع بين الروايات المتعددة والنظر فى الكتابات المتباينة عقديا أو سياسياً مع التماس الدلائل لترجيح ما يذهبون إليه، حيث توصلوا - هم أيضاً - إلى نفس ما اختزن لدى من مقدرة الدور السياسى لتغير ما يشاء حسبما يشاء وقتما يشاء.

حيث نجدهم قد وضعوا أيديهم على تلك الحقيقة الهامة، وهى مصاحبة العامل السياسى للمسيحية منذ نعومة أظافرها، لقد استغلت المسيحية أسوء استغلال كمظهر دينى لتحقيق مآرب سياسية ارتضاها أصحابها، وقد كان ذلك منذ البدء حيث الطريق إلى نشر هذه الديانة.

وما كان السعى وراء نشرها إلا لاستغلالها سياسياً لتحقيق أهداف وأطماع ترضى السياسيين كتوسيع النفوذ وتحقيق الثروات واحتلال الأرض وتضخم الذات ولنسير معاً لإثبات ذلك بالدلائل والوثائق.

فى الحقيقة ادرك الفرس والروم خاصة منذ الزمن القديم قيمة موقع شبه الجزيرة العربية بخلاف نظرة أصحابها لها، ويؤكد ذلك تطلع هاتين الدولتين إلى تلك المنطقة عن طريق الاستيلاء أو المعاهدات والأحلاف أو الزج بالآخرين لتحقيق مآربهم فى تلك الديار لما لموقع هذه الجزيرة من أهمية سياسية واقتصادية قبل الإسلام.

وقد استعان الروم بالدين كسلاح قوى لتحقيق مآربهم فأرسلوا من ينشر المسيحية، ونصروا الجماعات المسيحية فى اليمن ونجران، ووقعوا حلفاً لتنصير مكة – لم يكتب له النجاح – فضلاً عن محاولة تنصيرها بقوة السيف، وذلك حينما استعانوا بأبرهة الحبشى، إلاأن الله هزم أبرهه فلم تنصر مكة(١).

لذا كان هناك من يعتقد بأن الهدف من حملة أبرهة كان هدفاً سياسياً؛ لأن البيزنطيين كانوا يسعون إلى توحيد القبائل العربية فى شبه الجزيرة تحت نفوذهم ضد الفرس، ويستند هؤلاء على ما أورده "**بروكويوس**"

(١) وإن فشت النصرانية فى الأطراف الشمالية والجنوبية فى شبه الجزيرة، كما اعتنقها بعض الأفراد فى مكة، ومنهم من كان نصرانى المولد.

إذ يقول: "**أما فيما يختص بحمير فقد كان من المرغوب فيه أن يقيموا قيساً زعيمه على معبد ويسيروا جيشاً منهم ومن المعربين لغزو فارس، ولم يكن أبرهه يزهد فى استغلال مثل هذه الفرصة لمد نفوذه على بلاد العرب**"(١).

وقد اعتمد الروم فى نشر المسيحية فى شبه الجزيرة على طريقين:-

الأول: عن طريق الأفراد معتمدين على الحيل وخوارق العادات.

الثانى: الاستعمار مع الإكراه العقيدى، ورد كل عادية على النصرانية فى الجزيرة العربية.

وقد بدأت حركة التنصير منذ منتصف القرن الرابع الميلادى يدفع الروم إلى ذلك أمران:

الأول: بعد تبنى "**قسطنطين**" النصرانية إذن بها تعميماً ونشراً لما لذلك من آثار إيجابية فى الحروب، فضلاً عن المكاسب السياسية والاقتصادية وقد تبعه فى ذلك خلفاؤه فى الحكم.

الثانى: إيمان المسيحيين بعالمية المسيحية كما تصوره نصوص العهد الجديد نظرياً وعملياً(٢).

إذن: يمكن أن نستخلص نتيجة هامة، بأن محاولة نشر المسيحية منذ الزمن البعيد كانت محاولة سياسية تحت مظلة الدين ليس إلا، وأن الرغبة

---

(١) تاريخ العرب فى عصر الجاهلية، ص ١٧٠.

(٢) وقد وردت نصوص عدة تصرح بعالمية المسيحية زماناً ومكاناً وإنساناً وقد تفاوت الدلائل على ذلك فمنها ما ينسب إلى عمل المسيح، ومنها ما ينسب إلى وصايا المسيح لتلاميذه، ومنها ما يتعلق بعدم نسخ شريعة المسيح إلى قيام الساعة، ومنها ما يتعلق بعودة المسيح إلى الأرض مرة ثانية ليحاسب كل من لا يؤمن به، انظر متى ٣٥/٩، و٥/١٠: ١٥، مرقس ١٤/١٦: ٢٠، لوقا ١/١٠، و١٦ و١٧، ٤٦/٢٤: ٤٩، يوحنا ٢١/٢٠: ٢٣، أعمال الرسل ٦/١: ٨.

الحقيقية من قبل الروم فى حرب الفيل هو تطويق شاطئ البحر الأحمر كرد فعل لتطويق الفرس لشاطئ الخليج العربى (الفارسى فى ذلك الوقت) وهذا ما رغبت أن أشير إليه قبل أن نخطو خطوات واسعة فى بيان أثر التيارات السياسية على العقيدة المسيحية من حيث التغيير والتحريف وانتهاء معالمها الصحيحة كلية.

المبحث الأول
القمع والتعسف السياسى
وتأثيره على الأقليات

من العوامل الرئيسية التى ساهمت إلى حد كبير فى إبعاد النصارى عن ما جاء به السيد المسيح ذلك القمع الذى تعرضوا له عبر أزمنة متطاولة، بحيث لم تترك لهم فرصة كافية لمعايشة تعاليم عيسى السمحة، أو الاحتفاظ بها فى العقول، فضلاً عن عدم تدوينها حيث تسلط على المسيحيين سياسياً الرومان ودينياً اليهود.

وفى الحقيقة: يمكن القول بأن القمع والاضطهاد قد ظهر مبكراً فى تاريخ المسيحية، حيث نجده لازم المسيحية منذ نعومة أظفارها من قبل السادة والملوك والوثنيين واليهود.

وحسبنا دليلاً على ذلك القمع والاضطهاد الذى أنزله الحاكم "**هيردوس**" حين أمر بقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون عسى أن يقتل يسوع من بينهم(١).

وذلك من جراء نبوءة أشاعاها أحد كهنة اليهود بأنه سيولد مولود سيكون له عظيم الشأن، وسيكون على يديه إزالة ملك ذلك الحاكم، لذا قام ثائراً تخوفاً على سلطانه وسلطته أن تزول.

وانطلاقاً من هذا المثل، يتضح كيف بدأ القمع والاضطهاد مبكراً، بدءاً بصاحب الدعوة ثم ما لبث أن توالى على التعاقب مروراً بالحواريين والأتباع والرسل.

فما نلبث أن نجد أحد من هؤلاء الرسل قد نجى من القتل أو التعذيب، بل نكاد أن نراهم جميعاً قد مروا بتلك الملحمة الدامية من صنوف العذاب(٢).

(١) انظر: متى صح ٢/١٦: ١٧، وموسوعة تاريخ الأقباط، ج١، ص ٤١.
(٢) انظر: قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام، ص ٣٣: ٤٢.

ويؤكد ذلك مدونو العهد الجديد، حيث ذكروا بأن التلاميذ لإيمانهم الصادق بعودة المسيح الذين عايشوه قد جمعوا أنفسهم ورتبوا شئون الكنيسة فى فترة وجيزة للغاية بهدف التحرك بالمسيحية فى بلاد الشام بأثرها، إلا أن دعوتهم قد اصطدمت مرة ثانية باليهود، كما لاقت مقاومة فعالة من الروم الوثنيين الذين كانوا يخضعون منطقة الشام لنفوذهم فى ذلك الحين، وقد خشى حكام الولايات التابعون للحاكم العام الوثنى **(قيصر)** من انتشار المسيحية، وحتى لا تؤدى إلى حركة تمرد على حق الحاكم الوثنى من قبل المسيحيين الموحدين كانت حركة القمع والاضطهاد التى بدأت فى منتصف القرن الأول للميلاد ولم ترتفع إلا مع مطلع القرن الرابع الميلادى(١).

وقد أخذت تلك الحركات القمعية شكلاً متطوراً قائماً على الإبادة الجماعية من قبل الحكام الرومان.

أولاً: وقد تعددت الأسباب التى دعتهم إلى ذلك وكان منها:

١- دعوة السيد المسيح إلى نبذ الوثنية، والابتعاد عن كل مظاهر الشرك، ومنها عبادة الإنسان كان لها تأثيرها فى الاتباع الأوائل للمسيح مما حدا بهم إلى الابتعاد عن الوثنيات والاعتقاد بأن الإمبراطور الرومانى ليس له قداسة ولا يملك من أمر نفسه شيئاً، مما أغاظ القائمين على أمر الحكم فى الدولة الرومانية ودفعهم إلى العمل على التخلص من كل ما هو نصرانى.

(١) ويدعى النصارى أن حركات القمع والاضطهاد تلك كانت بعناية الرب ورعايته لأنها أكسبت المسيحيين قوة، ولفتت نظر الآخرين إليهم وأعجب كثير من الوثنيين بصلابة اعتقادهم وبخاصة إذا ما خيروا بين الحرق أو التخلى عن الدعوة فكان الحرق أحب إليهم من الدعوة إلى الوثنية.

٢- اهتمام النصارى الذين يقعون تحت السيطرة الرومانية بأمر القيامة والآخرة، والانصراف عن أمور الدنيا وعن الاهتمام بأمر الوطن، واعتزال بعضهم للمجتمع وكراهية البعض الآخر للانضمام للخدمة العسكرية، وتقاعس بعضهم فيما أسندته الدولة الرومانية إليه من عمل(١).

٣- كانت الدولة الرومانية تحذر الخرافات، وقد رأت فى المسيحية خرافة من هذه الخرافات وصفها "**يلين**" بأنها لا صورة لها ولا حدود؛ إذ جاءت إلى العالم الرومانى من الشرق، حماسية وصوفية غريبة كل الغرابة عن سائر ما تعود الرومان أن يسموه بالديانات، لا معابد لها ولا أصنام.

٤- فضلاً عن أن الدولة الرومانية كانت تتوجس خيفة من الجماعات السرية، وكان القائمون بأمور الأمن فيها يعلمون تمام العلم أن المسيحيين يجتمعون ليلاً دون طلب الأذن اللازم لذلك(٢)

٥- تخوف الرومان من تغلب المسيحية على الوثنية، حيث أخذت تتغلغل فى بواطن السواد الأعظم من الناس، فخافو حينئذ على وثنيتهم أن تنقرض وعلى سمات الإمبراطورية الرومانية أن تزول(٣).

٦- فضلاً عما سبق لقد ظهر التعارض بين وجهات النظر فى علاقات المسيحيين بالمجتمع مثلما ظهر فى علاقتهم بالدولة: منهم لم يحترموا لهذا المجتمع ما كان يتمسك به من آراء ثابتة ومن تقاليد(٤).

وبذلك نرى الدولة والمجتمع على حد سواء قد اجتمعوا على الشعور بالغضب الشديد تجاه المسيحية، ومن ثم فقد هاج الشر فى نفوس الرومان

(١) انظر: قصة الحضارة، ج٣، ص ٣٧٢، وما بعدها.
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها، ص ٢١١: ٢١٢.
(٣) انظر: تاريخ الأمة القبطية (الحلقة الثانية)، ص ١٠٣.
(٤) حيث نجد رجل مثل "ترتوليان" (الذى عاش فى نهاية القرن الثانى وبداية القرن الثالث) يصور الزواج والتكاثر على أنهما ضعف يرثى له أمام الغرائز الجسدية، ولم يكن يجد خير إلا فى القيم الروحية، كما كان محطماً للفروق الاجتماعية جامعاً بين السيد والعبد، ملقياً على سائر وجه هذه الحياة الدنيا بجماع احتقاره (المسيحية نشأتها وتطورها، ص ٢١٢).

سلطة وشعباً، وعلى الحقد فى بواطنهم فتأججت نيران اضطهاداتهم للمسيحين من جراء تلك الأسباب وغيرها، حينئذ لقيت المسيحية عداء جسيماً انتهى آخر الأمر إلى بذل محاولات منظمة للقضاء عليها.

وقد ازداد الأمر سوءاً لأن "**المثقفين كانوا يحتقرون المسيحيين، سواء رأوا فيهم يهوداً منحرفين أنكرتهم معابدهم، أو أصحاب عقيدة لا تستحق تحمل مشقة دراستها، وعامة الناس كانوا يكرهونهم لغرابة أسلوب حياتهم، ولبشاعة ما أشيع عن اجتماعاتهم من أخبار وكانت هذه الكراهية التى اتخذت صوراً عنيفة السبب الأول والأساسى للاضطهادات**"(١).

ثانياً: صور من تلك الاضطهادات:

لقد اتفقت المصادر شرقية وغربية، دينية وغير دينية: على أن المسيحيين نزل بهم بعد المسيح بلايا وكوارث، جعلتهم يستخفون بديانتهم، ويفرون بها أحياناً ويصمدون للمضطهدين مستشهدين أحياناً أخرى، وهم فى كلتا الحالين لا شوكة لهم، ولا قوة تحميهم.

ويذكر أن أول تعسف واضطهاد نزل بالمسيحيين كان فى عهد المسيح، وانتهى بالخاتمة المزعومة عندهم حينما أخذ اليهود يحرضون الرومان عليه، ويكيدون له المكايد ويوسوسون للحكام بشأنه إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الرومانى على أن يصدر الأمر بالقبض عليه والحكم عليه بالإعدام صلباً أمام إصرارهم الشديد على ذلك وما كان ذلك منهم إلا محاولة الحفاظ على مقدرات السلطة والنفوذ والسيطرة التامة على الشعب.

(١) المرجع السابق ص ٢١٣.

والقارئ لأحداث تلك المحاكمة الظالمة التى نصبت للمسيح سيتأكد من هذا الأمر بوضوح[1]. حينما يطالعه بأن الحاكم الرومانى الوثنى "**بيلاطس**" قد حكم ببراءته وأراد أن يطلقه، وخيرهم بين أن يطلقه أو يطلق لهم باراباس القاتل اللص المشهور لديهم، فما نجدهم إلا أن يختاروا إطلاق صراح هذا اللص ومحاكمة المسيح، وما كان هذا – كما ذكرت – إلا مخافة منهم أن يسلبهم ما هم فيه من سيطرة على الجموع ونفوذ وسلطان، ثم تتوالى الأحداث فينزل بالمسيحيين شدائد وكوارث تتفق مع هذا الابتداء.

١- وكان أول مظاهر هذا الاضطهاد الدامى عام (٦٤ م) فى عهد الطاغية "**نيرون**" عام (٥٤: ٦٨م) ويوضح الامر الشيخ أبو زهرة إذ يقول: "بأن نيرون هذا قد هاج الشر عليهم، وانزل البلاء والعذاب بهم، واتهمهم بأنهم الذين أحرقوا روما، فأخذهم بجريرتها وقد تفنن هو وأشياعه فى هذا العذاب، حتى لقد كانوا يضعون بعضهم فى جلود الحيوانات ويطرحونهم للكلاب فتنهشهم، وصلبوا بعضهم وألبسوا بعضهم ثياباً مطلية بالقار، وجعلوهم مشاعل يستضاء بها وكان هو نفسه يسير فى ضوء تلك المشاعل الإنسانية"[2].

٢- وبعد موت "**نيرون**" استلم الملوك من بعده حركات الاضطهادات العنيفة، فاستمر القتل والتعذيب زمناً طويلاً، ففى زمن الإمبراطور

(١) انظر: متى ٣/٢٦: ١٤، مرقس ١/١٥: ٢٠، يوحنا ١٨/١٣.

(٢) محاضرات فى النصرانية، ص ٣٢، انظر أيضاً: تاريخ الكنيسة، الكتاب الثانى، ف٢٥، ص ١٠٧، (ويجب الإشارة هنا: إلى أنه فى عصر نيرون هذا قد دون إنجيل مرقس (٦١م) على رواية وكان بمصر وقد كتبه عن بطرس وهو بروما، وكتب أيضاً لوقا إنجيله فى عهد هذا القيصر).

"**دومتيانوس**" (٩٠م) قتل الكثيرون من المسيحيين، ولم يأت ختام القرن الأول الميلادى إلى وأصبحت المسيحية أمراً محرماً قانوناً، وأصبح الاضطهاد شاملاً لجميع أجزاء الإمبراطورية الرومانية(١).

٣- وفى بداية القرن الثانى الميلادى حيث تولى الحكم "**تراجان**" (١٠٦: ١١٧م) كان اعتناق المسيحية جريمة كبرى عقابها الإعدام(٢). وقتل بناء على هذا لأمر الآلاف منهم "وكان ممن ذهبوا ضحية هذه الوحشية البابا كرزنوس البطريرك القبطى الرابع والقديس اغناطيوس أسقف أنطاكية"(٣).

٤- وفى زمن الإمبراطور "**ماركوس أوريليوس**" (١٦١: ١٨٠م) أصدر أمره بإبادة النصارى وقتل رؤسائهم كما ذهب اتباعه يتفننوا فى تعذيبهم والتلهى بآلامهم(٤).

وفى منتصف القرن الثالث الميلادى جاء "**ديسيوس**" (٢٤٩: ٢٥١م) وأنزل بالمسيحيين من البلاء ما تقشعر منه الأبدان حتى قال القديس يوسا بيوس القيصرى: "إنه فى فترة من فترات ذلك العهد قتل عشرة آلاف دفعة واحدة ..."(٥).

٥- ومع بداية القرن الرابع الميلادى فى عصر الملك "**دقلديانوس**" (٢٨٤: ٣٠٥م) وقع على المسيحيين شر النقم وسوء العذاب، حيث كان هذا الاضطهاد أشد وأوقع ما ابتليت به الكنيسة فأضعفها إلى حين، حيث أحرقت الكتب وهدمت الكنائس وأمر بإلقاء القبض على رجال الدين،

(١) انظر: النصرانية دراسة مقارنة، ص ١٠٤: ١٠٥.
(٢) انظر: قصة الاضطهاد الدينى، ص ٣٥.
(٣) موسوعة تاريخ الأقباط، ج١، ص ١٠٢.
(٤) انظر: تاريخ الرومان ص ١٨١: ١٨٦.
(٥) تاريخ الكنيسة. الكتاب السادس ف٤١ ص٣٣١.

كما قهر المسيحيين وحملهم على إنكار دينهم، وقد استشهد فى هذا الوقت عدد كبير من الأقباط تجاوزت عدتهم أربعين ومائة ألف، ولكثرة ما استشهد من الشهداء سمى هذا العصر بعصر الشهداء(١).

ما ذكر يعد قليلاً من كثير مما تعرض له النصارى فى القرون الميلادية الثلاث الأولى، وقد تسبب تواصل التعذيب والتنكيل والقتل والمطاردة، وإحراق الكتب الدينية، وتضييق الخناق على النصارى فى أمور تعد من أخطر ما أفرزته هذه الاضطهادات المريرة.

ثالثاً: نتائج تلك الاضطهادات:

١- هذه الاضطهادات التى قارنت المسيحية فى نشأتها وفى تكونها وليداً وفى تدرجها وفى عصر تدوينها ورواية كتبها، مع أسباب أخرى قد ساهمت إسهاماً عظيماً فى ضياع التعاليم الحقيقية والمبادئ الصحيحة للمسيح عيسى بن مريم حيث نجدها قد أنتجت لنا مسيحيتين: دين المسيح، والدين المسيحى.

فدين المسيح: هو الدين الحق الذى ضاع، ولم يسجله أحد وراءه، بل تم تحريفه فى أثناء كتابة أناجيلهم، تلك الأناجيل التى دونت فى عهود هذه الاضطهادات مما جلت بعض العلماء يبحثون عن قيمة هذه الكتب، بل وجعلت بعض علماء المسيحيين أنفسهم يعتذرون عن بعض الاضطراب فى الأناجيل بأنها دونت فى عصور اضطهاد المسيحية الأولى، بل إن مناظريهم يقرون بأن تلك الاضطهادات كانت سبباً فى فقد سندها المتصل بصاحب الشريعة إذ يقول الشيخ رحمة الله الهندى:

(١) انظر: قصة الحضارة، المجلد الثالث، ج٣، "قيصر والمسيح"، ص ٣٨، وموسوعة تاريخ الأقباط، ج١، ص ١٠٨: ١١٠، ومعالم تاريخ الإنسانية، ج٣، ص ٣١٧ وما بعدها.

"طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل فيما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم فقال: إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاثة عشرة سنة ..."(١).

وما ذكر على لسان الشيخ رحمه الله الهندى يعد أمراً طبيعياً حيث قتل الكثير من علمائهم من جراء هذه الاضطهادات، وأحرقت كتبهم، وما بقى منهم احتفظ بتعاليم مشوشة أفرزت لنا - حينئذ - ما يسمى بـ (الدين المسيحى)، وهو الدين التاريخى الذى نشأ مع ظهور الأناجيل التاريخية وتكوين العقائد المسيحية، والذى كان موضع هجوم من كل المفكرين الأحرار وفلاسفة التنوير، فهو دين الشعائر والطقوس، دين المؤسسات ورجال الدين.

٢- كما أن تلك الاضطهادات قد جعلت كل عمل يقومون به فيما يخص شئونهم الدينية وخاصة ما كان يتعلق ببيان وتفسير الشريعة فى سرية تامة، وفى خفية من العيون المتربصة بهم، ومن المعلوم بأن السرية تحوى فى ظلماتها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى ما يحكى عما يحدث فيها، فيتظنن فى كل ما يروى عنها ولا مانع من أن يدس على اجتماعاتهم ما لم يجر فيها. وهذا ما حدث بالفعل حيث تناقل الناس عنهم أقوال وعقائد ما أنزل الله بها من سلطان ولا أحد يعلم مدى مصداقية هذه الأقوال والعقائد التى كتبت فى ظلمة السرية هذه.

٣- ومن جراء هذه الاضطهادات - أيضاً - كان من المسيحيين من يفرون بدينهم، ومنهم من يظهر الوثنية ويبطن المسيحية وهؤلاء بلا شك أثر

(١) إظهار الحق، ج١، ص ١٠٩.

تفكيرهم فى المسيحية التى لم يكن لها قوة تحميها ولا عقائد تركن النفوس عليها.

٤- كما أن هناك نقطة هامة: وهى أن تلك الاضطهادات قد أفرزت لنا ما يسمى "**بحركة الدفاع المنطقى**" عن العقيدة المسيحية **(عملية توفيق)** حيث أخذ أكثر المسيحيين يظهرون الولاء لحكومة الإمبراطورية الرومانية، محاولين التوفيق بين عقائدهم وعقائد الإمبراطورية الرومانية تفادياً من نيران هذه الاضطهادات.

٥- وأخيراً: أهم ما أفرزته تلك الاضطهادات تأثيراً وأعظمها حالاً ترسب أحداث تلك الاضطهادات بكل ما فيها من فظاعة فى أعماق النصارى بحيث راحت تنتقل من جيل إلى جيل حاملة القلق والتوتر، والإحساس بالمهانة والذلة، وأكثر من هذا الكراهية للآخرين وتحين الفرص للإنقضاض والانتقام، وظهور صور جديدة لاضطهادات من نوع جديد الآن وهى ما أنزله المسيحيون أنفسهم بمخالفيهم عندما ولت الأيام ودارت وتركزت السلطة فى أيديهم، حيث انزلوا بمخالفيهم فى الرأى وفى الدين من الوثنيين ألواناً من العذاب بنفس الوحشية التى عوملوا بها بل بأكثر منها: أما تعاليم الرحمة والغفران وهتاف المسيح الذى يقول فيه: "**أحبوا أعداءكم** ..."[١]. فقد بقيت كلمات مسطورة دون أن يكون لها أثر أو نتيجة[٢].

فأخذت تنقض على أعدائها تفتك وتدمر لاستئصال شآفة الملحدين من بقايا الرومان الوثنيين، ولنتوقف قليلاً مع صورة تؤكد هذا الأمر، فمع

(١) متى ٥/٤٤.

(٢) انظر: المسيحية، ص ٧٠.

حلول القرن الثالث عشر الميلادى أنشأت الكنيسة محاكم التفتيش البابوية وجعلتها أداة مستديمة للقمع والتسلط ونشر الرعب وسفك الدماء "وبهذه الأداة نصبت الكنيسة نفسها لمهاجمة الضمير الإنسانى بالنار والعذاب ... وشهد القرن الثالث عشر كبار رجال الكنيسة يقضون فى مائة ساحة من ساحات الأسواق فى أوربا ليراقبوا أجسام أعدائها تحترق بالنار وتخمد أنفاسهم بحالة محزنة"(١).

ولقد ذهبت الكنيسة فى اضطهادها إلى مدى خطير ومنحنى صعب، حيث توجهت بأداة التنكيل والتعذيب التى أضحت جزءاً من سياستها إلى مخالفيها ليس فى الدين وحسب بل إلى مشاركيها فى الملة أيضاً، وذلك للتضارب بين مسيحية عيسى ومسيحية بولس ومسيحية الفلسفة الإغريقية التى لم يرضى عنها المسيحيون الأصليون.

ولم تكتف بذلك بل توجهت إلى كل من خالفها فى العلم والاجتهاد وفى الفهم والتفسيرات الكونية وأمور الحياة العامة باستخدام تلك المحاكم التى دنست تاريخ الأديان بما ارتكبت من آثام وما سفكت من دماء.

وفى نهاية الأمر: يتضح بجلاء بأن الاضطهادات كانت من أولى التيارات السياسية التى أخرجت الرسالة السماوية التأت بها عيسى من قبل الحق – تبارك اسمه – من مسارها الصحيح وألقت بها فى غياهب الظلمات حيث انغمست بها فى معميات الوثنية الرومانية والفلسفة الإغريقية والأفلاطونية المحدثة حينما جردتها من أسلحة الدعوة الصحيحة ومقومات الرسالة السماوية حينما توجهت إلى محاربة صاحب هذه الدعوة، وأفقدتها الإنجيل، وقضت على علمائها وأحرقت كتبها، فضلاً عن توريث متبعيها

(١) معالم تاريخ الإنسانية، ج٣، ص ٩٠٨.

الضـــغائن والأحقـــاد التـــى تعـــد ميراثـــاً طبيعيـــاً لتلـــك – الاضـــطهادات – فأخرجت لنا نفوس ممزقة الأوصال، مشتتة العقول، متضاربة الآراء.

المبحث الثانى
المآرب السياسية للإمبراطور الرومانى

لقد رأينا كيف تعرضت المسيحية خلال تاريخها الطويل إلى اضطهادات جمة، ولكن تلك الاضطهادات لم تستطع القضاء عليها أو النيل منها، بل على النقيض من هذا فقد ثبتت أواصرها وقوت شوكتها ودخل الناس فيها أفواجا، وهذا بالفعل ما أدركه الإمبراطور "**جاليرِ**" لذا استسلم لفكرة التسامح مع المسيحيين، ومن هذه الآونة بدأ العامل السياسى يضع بصمات واضحة على هذا الدين المتمثل فى المسيحية، ويرسم له خطوط عريضة بارزة بحيث لا تستطيع عجلة الزمن أو أحداث التاريخ أن تسير بدون مصاحبة إياه.

حيث أصبح موت هذا الإمبراطور "**جاليرِ**" مجالاً لتنافس عدد كبير من طالبى الحكم الذين حاولا استرضاء الطائفة المسيحية، وكسب أكبر قدر من تأييد طوائف الشعب المختلفة، وكان "**قسطنطين**" أفضل المنتفعين حينئذ، وذلك لأنه كان موثوقاً به لديهم على الرغم من عدم تحوله بعد إلى المسيحية إلا أنه كان يمتاز بأنه صاحب فكر تأليفى واسع الأفاق مثله فى هذا مثل أبيه **قسطنطين كلوروس**(١).

فقد استطاع "**قسطنطين**" هذا أن يستميل المسيحيين عندما أصدر **(٣٢٢م)** مرسوم ميلانو، ذاك المرسوم الذى أفسح مكاناً لإله المسيحيين بين آلهة الدولة المعترف بها، وذلك عقب انتصاره على منافسه **(ماكسانس)** الذى أخذ يأيد جنده بالسحر وبتقديم القرابين للآلهة الوثنية(٢).

---

(١) الذى يروى عنه أنه كان يوفق فى رحاب صغيرة بين احترامه لدين الأجداد العتيق وبين خوفه من إله المسيحيين (المسيحية نشأتها وتطورها، ص ٢١٧).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢١٨.

والحق بأن شخص "**قسطنطين الكبير**" جوهرى فى التاريخ، ويعدل فى جوهريته علىأقل تقدير شخص الأسكندر الأكبر، لذا كان لزاماً على أن أتعرض له بشئ من التفصيل.

أولاً: من هو قسطنطين هذا؟

هو قسطنيطن بن قسطنطينيوس كلوروس، وقد سجل له التاريخ بأنه كان له الدور الأكبر فى ظهور المسيحية الحالية، حيث ظهرت بالإمبراطورية الرومانية فى عهده بعد استتار "وهو أول ملوك الطبقة الثانية وهم المنتصرة" وقد ملك اثنين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر(١).

ويذكر خصمه "**زوسيوس**" أنه كسرجون(٢) الأول كان غير شرعى المولد، إذ كان أبوه قائداً شهيراً على حين كانت أمه "هيلانه" ابنة صاحب خان فى نيش بلاد الصرب، وقد تولى أبوه الإمبراطورية على النظام الدقلديانوسى، فلما مات بمدينة (يورك ببريطانيا) نادت حاميتها الرومانية بقسطنطين سنة (٣٠٦م)(٣).

ولقد طغت عبقريته الشخصية على نقائص خطيرة كانت تكتنفه، حيث كان من الأميين – أو يكاد – وكان يعرف القليل الذى لا يكاد يذكر من الإغريقية.

---

(١) انظر: التنبيه والأشراف، ص ١٣٧.

(٢) كلمة "سرجون" صيغة عبرية معناها: الملك المثبت ولم يرد ذكر اسم الملك سرجون إلا فى نبوة أشعاء ١/٢٠، كما أشير له فقط فى الملوك الثانى ٦/١٧، وهو ملك آشورى، وقد ملك من عام (٧٢٢: ٧٠٥ ق.م) وقد اشتهر بأنه رجل حرب عظيم (انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٦٣).

(٣) انظر: تاريخ أوربا القرون الوسطى، فشر القسم الأول، ص ٤.

كما عُرف بغلظة قلبه وحدية الطباع، ويؤكد هذا مع فعله مع ابنه الأكبر "**كريسيوس**" الذى أمر بنفيه ثم أمر بعد بإعدامه بتحريض من "**فاوستا**" زوجته الذى ما لبث فيما بعد أن أمر بإعدامها هى الأخرى.

كما عُرف بأنه كان أكثر استبداد من أى إمبراطور سابق، بمعنى أنه كان أقل استشارة واستعانة بغيره، فلم يكن هناك مجلس شيوخ "**سناتو**" ولا أى مجلس أيا كان يشاركه الحكم، بل كان يستأثر بالقرارات بمفرده، ولا يأمن لأحد فى اتخاذ أى قرار أيا كان.

كما عُرف عنه – أيضاً – بأنه كان مجدد لا يهدأ، حيث حاول أن يعالج الفوضى الاجتماعية بمساعدته نظام الطوائف على التطور(١).

ثانياً: دوره السياسى ومدى تأثيره على العقيدة المسيحية.

لقد كان لقسطنطين هذا الدهاء الكافى لكى يحرك مقدرات السياسة كيفما شاء اعتماداً على تلك الطائفة المسيحية المستحدثة المنشأ التى ساهم فى صنعتها بيديه، وذلك حينما أصدر مرسوم ميلانو المسمى بمرسوم التسامح عام (٣١٣م) الذى بموجبه منح الحرية الدينية لجميع رعايا الإمبراطورية(٢). حيث ورد فيه "لا يرفض التصريح لأى إنسان بالتمسك بطقوس المسيحية، أو بأى ديانة أخرى يهديه له عقله – أما المسيحيون وكل من عداهم فيسمح لهم بممارسة عبادتهم علناً وبحرية".

وما كان يبغى من وراء ذلك المرسوم إلا اكتساب اتباع أكثر، وتحقيق أملاً سياسياً محضاً، وهو أن يتم له فتح الجزء الشرقى من الإمبراطورية بعد أن تم فتح الجزء الغربى، لأن المسيحية كانت – حينئذ متمركزة فى القسم الشرقى أكثر من الغربى(٣).

(١) انظر: معالم تاريخ الإنسانية، المجلد الثالث، ص ٧١٧، ٧١٨، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٣٧، ومذاهب فكرية معاصرة. ص ١٠.
(٢) هامش (٢) انظر صراع عبر الزمان أو المسيحية معركة متواصلة ص٤٠.
(٣) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا، ص ٢٠٨ وما بعدها.

ومن هنا يبدو كما يقول د. رؤوف شلبى: "**بأن سياسة قسطنطين الدينية تمثل حلقة انتقال، كما أنها تعبر عن تطور فكرى أكثر منها عن تحول روحى ... فالتحول من عهد الاضطهاد إلى عهود الأمن والاستقرار سببه قبول رجال الكنيسة التنازل عن كثير من المبادئ والخضوع لسلطة الدولة ورغبة قسطنطين فى الحصول على أتباع أكثر، فهو تحول سياسى لمصلحة الطرفين الكنيسة من جانب والدولة من جانب آخر**"(١).

– فقسطنطين – هذا كان يلهث دائماً وراء تحقيق مآربه السياسية بكل ما أوتى من قوة ودهاء، متخذاً من الديانة المسيحية وسيلة من ضمن وسائله لبلوغ غايته المرجوة، وهى الحفاظ على مقومات الحكم وتحقيق السيطرة المطلقة على كل أنحاء الإمبراطورية.

لذا نجد بلاطه دائماً كان مليئاً برجال الدين من المسيحيين والوثنيين على حد سواء، وكان يبتغى من وراء ذلك أن يحقق نوعاً من التوازن بين المسيحية والوثنية، لذا أخذ يخطو خطوات بحذر وتحسس شديدين، ليكسب الكنيسة ورجالها من ناحية، وحتى لا يغضب الوثنيون عليه من ناحية أخرى، حيث كانت الوثنية هى الغالبة على العالم الذى يعيش فيه، ولذلك ظل يستخدم ألفاظاً يستطيع أن يقبلها كل وثنى، وقام بجميع المراسيم التى يتطلبها منه منصب الكاهن الأكبر والتى تحتمها عليه الطقوس التقليدية(٢).

إذن: فالمسيحية كانت لدى قسطنطين وسيلة لا غاية، ولعل هذا يعد سبباً واضحاً فى تفسير اختراعه لرؤيته للصليب التى أشاعها(٣)، فقد اخترع

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٨.

(٢) انظر: قصة الحضارة/ ج٣، مجلد ٣، عدد ١١، ص ٣٩٤.

(٣) حيث يقول مؤرخو الكنيسة: أن قسطنطين عندما سار لمحاربة خصمه "مكسيميانوس" رأى عند مغيب الشمس صليباً من نور فوق الشمس وكتابه تقول: قسطنطين بهذه تغلب، وانتصر قسطنطين فى هذه المعركة عام (٣١٢م) (انظر: الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة، ص ٧٥).

هذه القصة لكى يجذب القلوب لديه ويجمع الناس حوله حتى يستطيع بذلك أن يحقق أهدافه بالنصر على أعدائه، وتوحيد وجمع الكلمة فى يديه وقبضته على الأمور، وهذا ما حباه – أيضاً – لتأييد المسيحية ولإعلانه مرسوم ميلان سنة (٣١٣م)[١].

وفى نفس الوقت أعلن الإمبراطور قسطنيطن أنه مسيحى، فهل كان مسيحياً حقاً؟!

وهل كان إعلانه صدقاً؟!

فندع صاحبة المسيحية معركة متواصلة تجيب لنا عن هذا التساؤل إذ تقول: "**لا نستطيع أن نجزم بأن قسطنطين إنما صار مسيحياً حقيقياً عن عقيدة وإيمان، أو أنه وقف إلى جانب المسيحية هذه الوقفة الخالدة اعتقاداً منه بأنه ربما وجد فى المسيحية القوة العظيمة التى تمكنه من توحيد الإمبراطورية الرومانية**"، ثم تقول: "**إن قسطنطين لم يعلن الديانة المسيحية ديناً للدولة ...**"[٢].

ويقول فشر: "**يبدو أن الغرض الذى هدف إليه قسطنطين بميله إلى جانب المسيحية ظل غير واضح للعيان وذلك حتى انتصاره المبين فى وقعة "جسر ملفيات سنة ٣١٢م" إذ بات الإمبراطور يؤمن بالمسيح ويؤمن بإله الشمس القهار، فحبا المسيحيين بكثير من التسامح على حين احتفظ لنفسه بمنصب الكاهن الأعظم وهو المنصب الإمبراطورى فى الديانة الرومانية الوثنية، ثم إن العملة فى أيام قسطنطين ضربت وعلى وجه منها علامة الصليب على الوجه الآخر شعار عبادة الشمس**"[٣].

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٧٥، وصراع عبر الزمان، ص ٤٠.
(٢) ص ٤١.
(٣) تاريخ العصور الوسطى، ج١، ص٧.

فمعنا الآن كما يقول د/ رؤف شلبى: "**كاتبان من الغرب المسيحى وهما كذلك مسيحيان يريان أن قسطنطين أعطى إذناً بالأمان للمسيحيين كفكرة سياسية محضة من أجل الحفاظ على مقومات الحكم ...**"(١).

ولم يقف دهاء قسطنطين إلى هذا الحد فقط، بل استغل موقف آخر حينما انقسمت المسيحية الناشئة على نفسها بين (أريوسيين واثناسيوسين)(٢).

مما جعل كل فريق يعمل للفوز والحصول على أكبر قدر ممكن من الامتيازات، وهنا ظهرت شخصية قسطنطين السياسية على الساحة مرة أخرى، إذ قام باستغلال الموقف إلى أبعد الحدود، إذ عمل على إقامة قوته السياسية على ثلاثة معالم رئيسية ألا وهى: "العبادة الإمبراطورية، والعقيدة الآريوسية والعقيدة الإثناسيوسية"(٣).

فنجده قد مال إلى رأى "اثناسيوس" القائل بألوهية المسيح عندما كانت مصلحته الخاصة تقتضى إرضاء تلك الطائفة، فايدها فى مجمع مسكونى

(١) يا أهل الكتاب تعالوا، ص ٢٠٩.

(٢) وذاك حينما دب الخلاف بين ممثل الكنيسة اثناسيوس وبين القديس آريوس الذى كان يرى بأن للمسيح طبيعة مخالفة تماماً لطبيعة الأب، وأنه مخلوق كباقى المخلوقات، فهو إذا غير مساوى للأب وغير أزلى وهو بهذا الوصف لا يصح أن نعبده بل أن نحترمه وذلك بخلاف ما ذهب إليه أثناسيوس فدب الخلاف حينئذ فى كل مدينة واشتد محاربة الكنيسة لآريوس، وذلك لأن مسألة اتفاق الأب والابن فى المادة لا مجرد تشابههما كانت فى نظر الكنيسة مسألة حيوية من الوجهة السياسية والدينية، حيث كانت ترى بأنه إذ لم يكن المسيح إلهاً فإن كيان العقيدة المسيحية كلها يبدأ فى التصدع وإذا ما سمحت باختلاف الرأى فى هذا الموضوع فإن فوضى العقائد قد تقضى على وحدة الكنيسة وسلطانها (انظر: قصة الحضارة، مجلد٣، ج٣، عدد ١١، ص٣٩٤، وعصر المجامع، ص ٣٢).

(٣) انظر: أوربا العصور الوسطى، ص ٥٥.

عام عقد تحت رئاسته فى (٣٢٥م)متجاهلاً تماماً رأى الفريق المعارض على الرغم من كثرة عدد القائلين به(١).

ولكننا سرعان منا نجده قد غير ميوله الاعتقادية وأعلن تأييده للمذهب الآريوسى بنفس الطريقة التى عاداه بها، بأن عقد له مجمع مسكونى آخر يسمى بمجمع "صور" فى عام (٣٣٤م) حيث قرر فيه العفو عن آريوس واتباعه.

ويرجع ذلك إلى رغبته فى نقل عاصمته إلى القسطنطينية، وهو الأمر الذى تم بالفعل فى عام (٣٣٠م) مما استلزم من جراءه إرضاء أهالى الجزء الشرقى من الإمبراطورية(٢).

ويؤكد ما سبق المؤرخ/ فاسيلييف إذ يقول: "أن قسطنطين كان على استعداد تام لتغيير ميوله المذهبية بل الدينية وفق ما تتطلبه مصالحه السياسية، ذلك أن ظل يؤيد المذهب الأثناسيوسى طالما كانت عاصمته فى الغرب، وطالما اعتمد على الغرب فى قوته، ولكنه عندما شرع فى نقل عاصمته إلى الشرق وأحس باسترضاء سكان القسم الشرقى من الإمبراطورية، لم يجد غضاضة فى تغير عقيدته نحو المذهب الآريوس"(٣).

كما تمادى هذا الإمبراطور فى تحقيق آماله وأهدافه السياسية إلى أمد بعيد، حيث خرج على فئة المسيحيين ببدعة جديدة أنشأها فى عهده وهى ما تسمى ببدعة "المجامع المسيحية" بحجة الفصل بين المختلفين فى العقائد.

---

(١) انظر: عصر المجامع، ص ٣٢ وما بعدها، وتاريخ ابن البطريق، ص ١١٦: ١١٧، وموسوعة تاريخ الأقباط، ج١، ص ١٥٢ وما بعدها، وتاريخ الفكر المسيحى، ج١، ص ٦٢٠.

(٢) انظر: الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة، ج١، ص ٣٥٧: ٣٥٩، وقصة الحضارة، ج٤، م١، ص ٢٠.

(٣) أوربا العصور الوسطى، ص ٥٨.

وهى فى حقيقة أمرها وسيلة سياسية أخرى تخدم مصالح الإمبراطور والدولة، وشوكة فى ظهر المسيحية أدت إلى ازدياد أواصر الخلاف بين فئة المسيحيين.

فهذه المجامع كانت فى يد الإمبراطور كما يقول د/ رؤوف شلبى: "**كالكرة فى يد الطفل يقذف بها فى الاتجاه الذى يحلو له**"(١) وسأرجئ بيان هذا الأمر مفصلاً إلى المبحث التالى.

وأخيراً: لم يكتف قسطنطين بما أحدثه فى المسيحية من تخوير وانقسام فى حياته بل عمد إلى تقسيم الإمبراطورية قبل وفاته بين أبنائه الثلاثة.

فأخذ "قسطنطين الثانى" الغرب، وأخذ "قسطنطينوس" الشرق، فى حين كانت أيبريا والجزء الأوسط من شمال أفريقيا من نصيب "قسطانز".

وما نلبث أن نلاحظ بأن كل حاكم من هؤلاء الحكام الثلاثة قد عمل على توطيد نفوذه وملكه عن طريق تأييد المذهب السائد فى بلاده.

فاتجه (قسطنطينوس) نحو تشجيع الآريوسية، فى حين دأب أخواه على تأييد معتقد الاثناسيوسية مما جعل الخلاف المذهبى يتطور إلى انقسام حقيقى وفعلى فى الكنيسة بين الشرق اليونانى والغرب اللاتينى(٢).

مما تقدم – إذن – نخلص بأن الدين أصبح لعبة سياسية فى يد من يستطيع استغلالها، كقسطنطين الذى كان من أفضل الشخصيات السياسية فى التاريخ القديم التى استطاعت بمهارة فائقة أن تستغل الدين لتحقيق مآربها السياسية ومصالحها الشخصية، ولم يكتف بذلك بل ورث ذلك أبناؤه من بعده كأنه أرسى قاعدة عامة وميراث شرعى يسلمه كل إمبراطور لمن بعده.

(١) يا أهل الكتاب تعالوا، ص ٢١٨.
(٢) انظر: أوربا العصور الوسطى، ص ٥٩.

كما رأينا أيضاً ما أحدثته السياسة فى الدين المسيحى من انقسام وشقاق تبلور فى ظهور فرقة حقيقية وانشطار ملموس ظهر فى انقسام الكنيسة رمز الديانة المسيحية إلى كنيسة الشرق اليونانى والغرب اللاتينى، ومن العجب إنها مازلت إلى اليوم تحصد نتاج هذه الفرقة وتجنى ثمار هذا الانشطار.

فقد ضاع الدين المسيحى حقاً ومسخت ملامحه عندما تلقفته أيادى السياسة وخضع لمعايرها التى تتنافى تماماً مع معايير أى دين، فللسياسة معاييرها الخاصة وحساباتها الدنيوية التى لا تستطيع أن تنفك عنها، ولا يملك أحد أن يجاسر بالقول بأنه يستطيع أن يقف أمام عجلاتها الدائرة على الدوام، بل على العكس من ذلك فهى دائماً صاحبة السيادة ولها اليد الطولى فى تحقيق ما ترغب وخضوع ما تشاء لها، خاصة عندما يكون الواقف فى مواجهتها دين كالدين المسيحى هاوى البنيان، وهذا ما حدث بالفعل للمسيحية حينما تلاقتها أيادى السياسيين.

المبحث الثالث
أثر الهيئات الشورية
على العقيدة المسيحية

لقد أجمعت النصوص بما لا يدع مجالاً للشك بأن عيسى لم يأت بدين جديد، ولم يأت إلا بتصور فريد للتقوى فى إطار الديانة اليهودية، تلك الديانة التى لم يزعم قط أنه أت للتغيير من معتقداتها أو من شرعها وشرائعها. إذ نجده فى إنجيل لوقا يقول: "**زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس**"(١).

كما نجده يوصى الجموع أن يحفظوا كل ما يوصيهم به الكتبة الفريسيون وهذا ما أخبرنا به متى إذ يقول: "**حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوا، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون**"(٢).

وقد أمن حواريوه بهذا، ولكن ما لبث أن تبدلت هذه الآراء باختفاء معلمهم عيسى، إذ كان اختفاؤه ضربة عنيفة قاصمة لآمالهم، ولكننا لا نلبث أن نراهم قد استسلموا إلى هذا الواقع "وذلك لأن دعوة عيسى لديهم مرتبطة بشخص عيسى نفسه، فإن هم أقروا باختفائه إلى الأبد، كان ذلك إقرار بالتخلى عن كل أمل لهم فى تحقق كلمته .. وتبلور إيمانهم وركز على فكرة واحدة وهى لا يمكن أن يكون موته نهائياً، وكانت النتيجة المحتومة لمثل هذا التبلور أن يروا الرؤى ويصدقوها"(٣). من هنا تحولت دعوة الحواريين إلى فكرة

(١) صح ١٦/١٧.
(٢) صح ٢٣/٣٨، انظر أيضاً متى صح ٥/١٧.
(٣) المسيحية نشأتها وتطورها، ص ٥٠.

مركـــزة هـــى: أن عيســـى هـــو المســـيح الموعـــود وإلـــى قرب عودته إلى هذه الدنيا، وإن كانوا لم يستطيعوا توسيع دائرة هذه الدعوة من جراء ما أنزل بهم من اضطهادات.

من هنا كانت الساحة مهيئة تماماً لظهور شخصية "بولس" اليهودى – رسولهم المزعوم – الذى أيقن تماماً بأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عادات وأساليب تفكير أهل اليونان، لذا نجده ما لبث أن أعلن بأن المسيح ما أتى إلا ليبدل عهداً قديماً بعهد جديد.

ومن هنا كانت بداية إنشاء لاهوت جديد لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض فى أقوال المسيح حيث أضاف كما يقول ول ديورانت: "**إلى اللاهوت الشعبى بعض آراء صوفية غامضة كانت قد ذاعت بين الناس بعد انتشار سفر الحكمة وفلسفة فيلون**"(١).

ويؤكد ذلك Berry إذ نجده يقول: "**شاؤول هو فى الحقيقة مؤسس المسيحية، وقد أدخل على ديانته بعض تعاليم اليهود؛ ليجذب له العامة من اليهود، كما أدخل صوراً من فلسفة الإغريق، ليجذب أتباعاً له من اليونان فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص استطاع الجنس البشرى بواسطته أن ينال الحياة ... وعمد كذلك ليرضى المثقفين اليونان فاستعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف Philon فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريقة الكلمة The loger أو الابن الإله The Son of God أو الروح القدس**..."(٢).

(١) قصة الحضارة، ج١، ص ٢٦٤.

(٢) Religions of The World نقلاً من المسيحية: أحمد شلبى، ص ١٠٩.

والحق بأنه لم يمض وقت طويل على انتشار نظريات بولس ورسائله فى الفكر المسيحى حتى تفجرت الخلافات وأصبح الجو الدينى معبأ بالكثير من المعتقدات التى حمل لواءها العديد من الجماعات.

وعلى أثر هذه الاختلافات نبت الشقاق داخل الكنيسة وتشعبت وجهات النظر التى أقرب ما توصف به أنها كانت عسيرة الفهم بعيدة المنال.

وقد أدى هذا العسر إلى البحث عن وضع نظام للمناقشة محاولة للوصول إلى قرار له صيغة مقدسة يلتزم بها الجميع، فكان الاقتراح بإنشاء ما يسمى بالمجامع من قبل الطائفة التى دخلت فى المسيحية من الوثنيين ويرأسهم فى هذا بولس صاحب المجمع الأورشليمى عام (٥٠م) وتابعه قسطنطين ومن واله من القياصرة والأباطرة[١].

وتعد المجامع من أهم العوامل السياسية التى شكلت وجه المسيحية الجديد، إذ هى التى فلحت الأرض لتبذر بذور تلك المسيحية التى سادت أفكار المسيحيين فى الأجيال من بعد لذا سأتناولها بشئ من التفصيل.

أ- التعريف بالمجامع:

المجامع: هى هيئات شورية فى الكنيسة المسيحية رسم الرسل نظامها فى حياتهم إذ عقدوا المجمع الأول فى أورشليم (٥١م) برئاسة الأسقف "يعقوب الرسولى" للنظر فى ختان الأممى (غير اليهودى) ومن ثم نسجت الكنيسة على منوالهم، والمجامع على ضوء القوانين الكنيسية تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما:

١- مجامع عامة:

(١) انظر دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، ص ٧١.

أو على حد تعبيرهم (مجامع مسكونية)[١] أى عالمية، وهى التى ممثلين من كافة الهيئات والعناصر المسيحية، حيث يجتمع فيها جميع أساقفة الكنائس المسيحية فى كل أنحاء المعمورة وذلك لفحص مسائل تتعلق بالجانب العقدى لديهم، وسوف نلمس ذلك جلياً عندما نستعرض ما فعلته بعض هذه المجامع من إرساء قرارات خاصة بالعقائد الإيمانية، وقد وضُعت شروط لإقامة هذه المجامع كان منها:

أنْ تنعقد بسب دعوة أو انشقاق، وبدعوة من الإمبراطور مباشرة، وأن يحضرها غالبية أساقفة الكنيسة شرقاً وغرباً، وأن تقرر شيئاً لم يكن مقرراً من قبل[٢].

وقد دلت الإحصائيات التى أجريت لمعرفة عدد المجامع المسكونية التى انعقدت فى القرن الأول المسيحى إلى عام (١٨٦٩م) إلى أن هذه المجامع تساوى عشرون مجمعاً[٣].

وهذه المجامع المسكونية منها ما انعقد قبل الانشقاق الكنسى، ومنها ما عقد بعد هذا الانشقاق الذى تم نهائياً عام (١٠٥٤م).

أما المجامع المسكونية التى انعقدت قبل الانشقاق فهى ثمانية:

(مجمع نيقية الأول عام (٣٢٥م)، والقسطنطينية الأول عام (٣٨١م)، وافسس الأول عام (٤٣١م)، وخلقدونية عام (٤٥١م)، والقسطنطينية الثانى عام (٥٥٣م)، والقسطنطينية الثالث عام (٦٨٠م)، ونيقية الثانى عام (٧٨٧م)، والقسطنطينية الرابع عام (٨٦٩م))[٤].

(١) كملة مسكونية نسبة إلى الأرض المسكونة.
(٢) انظر: عصر المجامع، ص ٩٠.
(٣) وهذا الإحصاء، كما ذكر مؤرخ أوربا العصور الوسطى مع الاختلاف والإنكار لعمومية بعضها أو لصحة قراراتها (ج٢، ص ١١: ١٢).
(٤) وأخطر تلك المجامع التى لها صلة مباشرة بالتثليث هى المجامع الأربعة الأولى، وإن كانت أكثر الكنائس لا تعتد بمجمع خلقدونية المنعقد عام (٤٥١م) كما ذكر فى (عصر المجامع، ص٢٠).

أما المجامع المسكونية التى انعقدت بعد الانشقاق الكنسى فهى مجامع الكنيسة الغربية الكاثوليكية الرسولية وهى كما يلى:

(مجمع اللاتران الأول المنعقد عام (١١٢٣م)، واللاتران الثانى عام (١١٣٩م) واللاتران الثالث عام (١١٧٩م) واللاتران الرابع عام (١٢١٥م)، وليون الأول عام (١٢٤٥م) وليون الثانى عام (١٢٧٤م) وفينا الأول عام (١٣١١م) وكونستاس عام (١٤١٤: ١٤١٨م) وبازل عام (١٤٣١م) ومجمع قرار أوفلورانسا عام (١٤٣٨: ١٤٤٢م) وترنت المنعقد فى (١٥٤٥: ١٥٦٣م) والفاتيكان بروما (١٨٦٩: ١٨٧٠م))[١].

٢- أما النوع الثانى من المجامع فهو: المجامع المكانية:

وهى التى كانت الكنائس لا تزال تعقدها فى حيزها الخاص لا قرار شعيرة معينة أو رفضها أو للنظر فى بعض الشئون الخاصة[٢].

وهذه المجامع يمكن تقسيمها إلى قسمين: مجامع إقليمية، ومجامع محلية.

ويوضح أمرهما صاحب تاريخ أوربا فى العصور الوسطى إذ يقول: "**والمجامع الدينية المحلية ذات الأثر المحدود تكون بدعوة الأساقفة لتنظيم اجتماع دينى يشملهم للنظر فيما يعنيهم من مشاكل .. ويقدم التنظيم الكنسى هذا النوع من المجامع إلى ما يعرف باسم المجامع الإقليمية المنتظمة** ..."[٣].

---

(١) وقد أطلق على هذه المجامع مجامع الكنيسة الرسولية الغربية الكاثوليكية لانعقادها فى كنيسة روما بأمر البابا وتحت سلطاته .. مما جعل الكنيسة الأرثوذكسية لا تعترف بتلك المجامع ولا تعتد بها.

(٢) انظر: موسوعة تاريخ الأقباط/ ج١، ص ١٧، وعصر المجامع، ص ١٩.

(٣) ج٢، ص ١٢.

من خلال ما سبق من تعريف كل من المجامع المسكونية والمكانية اتضح بجلاء مدى الدور الخطير الذى أسند للمجامع المسكونية، حيث استحوذت على القرارات الجديدة التى أدخلت فى الدين ما ليس منه بشهاداتهم على أنفسهم(١)، وانعقادها بأمر الإمبراطور بخلاف المجامع المكانية التى فقدت أهميتها لانعدام جانب الإلزام فيها ولكثرتها التى فاقت الحد والعد، لذا سأقتصر على تقديم نماذج فعالة من المجامع العامة المسكونية السياسية الأصل والمنشأ.

ب- نماذج من هذه المجامع:

يجب أن نعلم بأن من بين المجامع المسكونية التى أقامتها الكنيسة المسيحية لإرثاء عقائدها ومبادئ إيمانها من هو متفوق على أترابه، من حيث أهميته فى الجانب السياسى والعقدى لذا سأنتقى من بين المجامع المسكونية التى لجأت إليها الكنيسة ما يجتمع فيه مثل هذه الأهمية (السياسية – والعقائدية).

وقدتبين لى أن أكثرها أهمية وأشدها خطورة والذى برز فيها الدور السياسى فى أبلغ أدواره بجوار الدور العقائدى (مجمع نيقية الأول المنعقد عام (٣٢٥م)، والقسطنطينية الأول المنعقد عام (٣٨١م)، والمجمع الذى أرست فيه عقيدة عصمة البابا المنعقد عام (١٨٦٩م).

أولاً: مجمع نيقية المنعقد عام (٣٢٥م):

كما أشرت سابقاً: بأنه إذا كان بين المجامع من هو متفوق على أترابه، فمجمع نيقية الأول – كما يقول ستانلى – "**أحق المجامع بهذا التفوق، وأجدرها بأعم التعظيم والإجلال بفضل ما جمع من ميزتى الأقدسية والقول بألوهية المسيح**"(٢).

(١) انظر: تكوين أوربا، ص ٤٥: ٤٦.
(٢) عصر المجامع، ص ٢٦.

إذ هو أول المجامع المسكونية، وأول مجمع قرر ألوهية السيد المسيح، فضلاً عن هذا ما مثله هذا المجمع من دور سياسى بالغ الأهمية إذ كانت اليد الطولى لانعقاد هذا المجمع هى يد السلطان والجبروت متمثلة فى "قسطنطين" الإمبراطور الرومانى الذى استطاع عن طريق هذا المجمع أن يقلب الدين المسيحى إلى وثنية، فكان النبت الجديد متمثلاً فى المسيحية الجديدة.

أ- أسباب انعقاد المجمع النيقاوى الاول:

ترجع أسباب انعقاد المجمع النيقاوى الأول عام (٣٢٥م) إلى سببين رئيسين، أحدهما سياسى والآخر دينى.

أما السبب السياسى:

فقد جمع المؤرخون وكتَّاب المسيحية على أن الملك "قسطنطين" الذى دعا إلى عقد المجمع النيقاوى الأول كان له من وراء ذلك مأرب سياسى، ولم تكن وقفته فى نصرة المسيحية عن اقتناع ورضا، بل كان دفاعه وسيلة لا غاية إذ كانت غايته كما يقول راسل: "إظهار قوته السياسية، ومن أجل هذه الغاية قصد قسطنطين أن يناصر المسيحية"(١).

لذا أخذ يقف بجانب القساوسة ويكسب ودهم وعطفهم ليكونوا عوناً له فى تثبيت أقدامه ويؤيد هذا ول ديورانت إذ يقول: "**لقد كان قسطنطين يأمل أن يكون ملكاً مطلق السلطان، وهذا النوع من الحكم يفيد لا محالة فى تأييد الدين، وقد بدا له أن النظام الكهنوتى وسلطان الكنيسة الدنيوى يقيمان نظاماً روحياً يناسب نظام الملكية، ولعل هذا النظام العجيب بما فيه من أساقفة وقساوسة يصبح أداة لتهدئة البلاد وتوحيدها**"(٢).

(١) تاريخ الفلسفة الغربية، ج٢، ص ٤٨.
(٢) قصة الحضارة، مجلد٣، ج٢، عدد ١١، "قيصر والمسيح"، ص ٣٨٧.

لذا نراه عندما سمع بالخلاف الجدلى فى العقيدة بين آريوس[١] وأنصار الكنيسة، خاف على ضياع كرسيه وسلطانه فأرسل إلى الإسكندر "بطريرك الكنيسة بالإسكندرية" وإلى أريوس رسالة شخصية يدعوهما فيها إلى الوفاق[٢]... وإن لم يفعلا فلا أقل من أن يخفيا جدلهما من آذان الجماهير.

أما السبب الدينى لانعقاد المجمع:

فقد اجمع علماء اللاهوت على أن السبب الدينى المباشر لعقد هذا المجمع هو النظر والبت فى أمر بدعة آريوس وانتشار مذهبه الذى يخالف عقيدة الكنيسة والذى أخذ آريوس يجاهر به ويدعو إليه المصريين وغيرهم متحدياً كنيسة الإسكندرية التى تعتقد خلاف قوله[٣]، ويتلخص مذهب آريوس هذا فى القول: "**بأنه يؤمن بإله واحد متعال، يفوق حد التصور، وهو من العلو بحيث لا صلة له بأى شئ له نهاية، وهو فريد لا شبيه له، أزلى لا بداية له**"، ثم يبين عقيدته فى المسيح قائلاً: "**أن المسيح خلقه الآب خلقاً فو إذن غير أزلى، وهو مخلوق مثل باقى المخلوقات، وهو ليس مساوياً للأب فى الجوهر، بل على العكس تتغير طبيعته مثل أى مخلوق**[٤]**، وهو كأى مخلوق – أيضاً – قادر على عمل الخير والشر – وهو معرض للخطأ ولا**

(١) ولد آريوس فى ليبية القيروان بأفريقيا (٢٧٠م) وكان له إلمام بعلوم كثيرة، وجاء إلى الإسكندرية طامعاً أن ينال وظائف كنيسية فرسم كاهناً فى كنيسة بنكاليس بعد أن دخل المدرسة اللاهوتية بأنطاكية وتتلمذ على يد المعلم لوقيانوس (انظر: تاريخ الفكر المسيحى، ص ٦١٨).

(٢) من الملاحظ بأن هذا لم يكن من قبيل الرغبة الصادقة فى تثبيت أمر العقيدة، فهو لم يعد بعد مسيحياً، ولم يكن إلأ فى أواخر أيامه حيث نقل عنه أنه لم يُعمد إلا وهو على فراش الموت، وإذا عُرف هذا تبين أنه فعل ما فعل لتحقيق أهدافه السياسية ليس إلا.

(٣) انظر: الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة، ص ٨٣.

(٤) وهذا خلافاً لما تعتقده كنيسة الإسكندرية إذ كان قولها: أن المسيح هو ابن الله المولود من الآب قبل الدهور، وأنه مولود غير مخلوق وأنه مساو للأب فى الجوهر ... (انظر: تاريخ الكنيسة: موريس يقادينى، ج٢، ص ٥: ٦).

يستطيع أن يحيط بل شئ – وهو بهذا الوصف لا يستحق أن نعبده، بل أن نحترمه وأن نعترف بجميله"(١).

ب- كيفية انعقاد مجمع نيقية:

يستفيض ابن البطريق المؤرخ المسيحى فى وصف ذلك إذ يقول: **"بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان فمجمع البطاركة والأساقفة، فاجتمع فى مدينة نيقية (٢٠٤٨) من الأساقفة وكانوا مختلفين فى الآراء والأديان فمنهم:**

أ- فمنهم من كان يقول أن المسيح وأمه إلهان من دون الله ويسمون المريميين.

ب- ومنهم من كان يقول أن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار وهى مقالة سابليوس وشيعته.

ج- ومنهم من كان يقول أن مريم لم تحبل به تسعة أشهر وإنما مر فى بطنها كما يمر الماء فى الميزاب وهى مقالة إليان وأشياعه.

---

(١) موسوعة تاريخ الأقباط، ص ١٥٠، وتاريخ الفكر المسيحى، ص ٦١٩. (وفى الحقيقة: يجب أن ننتبه – بأن آريوس هذا على الرغم من أن آراءه هذه قد تبدو فيها ظاهرياً القول بالوحدانية لله رب العالمين، إلا أن الأمر على خلاف ما يبدو حيث نقل عنه قوله: بأن الإبن يمتاز عن سائر الخلائق بعدة ميزات كالدرجة والمركز، إذ يصد الله هو صاحب المركز الأكبر حيث خلق الشئ حتى الزمن، ولشدة ابتعاده عن الدنيا خلق الكلمة، وجعل منه الوسيط الذى يؤثر به على المخلوقات، ويتصل بها (تاريخ الفكر المسيحى، المجلد الأول، ص ٦٣٤، ومحاضرات فى علم اللاهوت النظامى، ص ٢٩٢: ٢٩٣) لذا فإنه يعد من قبيل الموحدين لتباعد قوله عن التصريح بألوهية المسيح إلا أن ما ذهب إليه لا يعد من قبيل التوحيد المطلق التى أتت به الرسالات السماوية الخالص لله سبحانه، حيث نجده قد رجع وجعل المسيح الوسيط الذى يؤثر على المخلوقات ...

د- ومنهم من كان يقول أن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره وأن ابتداء الابن من مريم وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنسى صحبته النعمة الإلهية وهى مقالة بولس السمساطى وهم البوليقاينون.

هـ-ومنهم من كان يقول أنهم ثلاثة آلهة لم تزل (صالح وطالع وعدل بينهما) وهى مقالة مرقيون .. ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح، وهى مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً من (٢٠٤٨) ممن اجتمع فى مؤتمر نيقية (٣٢٥م)[١].

وقد اختلف المجتمعون فى هذا المجمع – كما رأينا من مقالة ابن البطريق – اختلافاً كبيراً، حيث لم يتفقوا على رأى مما أثار عجب الإمبراطور قسطنطين، إلا أن الإمبراطور نفسه لما كان يميل إلى القول بألوهية المسيح[٢] طبقاً لما زعمه بولس الرسول، لذا وجدناه قد اختار من المجتمعين (٣١٨) أسقفاً من أشد المتعصبين لرأيه، وألف منهم مجلس خاصاً خوله إصدار ما يراه من قرارات ويقول فى ذلك ابن البطريق: "**وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلس خاصاً عظيماً، وجلس فى وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتى لتضعوا ما ينبغى لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك وقلدوه سيفه وقالوا له أظهر دين النصرانية وذب**

(١) تاريخ ابن البطريق، ص ١٢٦.

(٢) وهذا أمر طبيعياً فقد نشأ قسطنطين هذا فى عالم وثنى يؤمن بتعدد الآلهة، كما تشبع خلال سنتى تكوينه الأولى بأسطورة الشمس باعتبارها ربة الإمبراطورية الرومانية.

عنه ..."[1]، وبذلك نرى أن الملك قسطنطين قد اختار من بين هذه الآراء الكثيرة التى كانت تدور فى المجمع بين الأعضاء اختار رأى من ألهوا المسيح، لأن عبادة رجل بشرى أقرب إلى وثنية الرومان من عبادة الإله الواحد الذى لا يرى ولا تحده الجهات ولا تحيط به الأفكار.

ج- قرارات المجمع:

وضع هذا المجمع الملكى المحدود من الأساقفة قرارات فى العقيدة وأخرى خاصة بالنظام الكنسى ولا يهمنا هنا إلا الإشارة فيما يتعلق بالنواحى العقائدية وهى كما يلى:

١- أصدر الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً قراراً رسمياً كتبوه فى وثيقة ووقعوا عليها، وهذه الوثيقة تسمى عندهم "بالأمانة" أو "دستور الإيمان" وبها تدين الكنائس ونصها: "**نؤمن بإله واحد، ضابط الكل – ماينرى وما لا يرى – ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للأب فى الجوهر الذى به كان كل شئ، هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من المساء وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء تأنس وصلب على عهد بيلاطس البنطى، وتألم وقبر وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه وأيضاً يأتى ليدين الأحياء والأموات الذى ليس لملكه انقضاء**"[2].

---

(١) تاريخ ابن البطريق، ص ١١٢ وما بعدها.

(٢) علم اللاهوت، ص ٢٩٥ وما بعدها. (ويجب الأخذ فى الاعتبار بأن هذا القانون لم يكتمل بعد وقد زيدت صيغته فى المجمعين القادمين وهما مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١م)، ومجمع افسس الأول (٤٣١م) كما ذكر ذلك كتاب المسيحية ومؤرخيها (انظر: موسوعة تاريخ الأقباط، ج١، ص ١٧٣، والألئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، ج١، ص ٢٩١ وما بعدها).

٢- أما بالنسبة لآريوس الذى انعقد من أجله المجمع، فقد أقروا حرمة وتحريم بدعته ونفيه إلى إحدى مقاطعات "الأليريكوم" بجوار بحر الأدرياتيك.

كما أمروا بحرق كتابات آريوس ومنعها عن الناس، تلك كانت أهم قرارات هذا المجمع الخاصة بالعقيدة،

ولكن إذا كانت تلك قرارات المجمع هل كان هناك إجماعاً عليها من جميع الأعضاء الـ (٢٠٤٨)؟!

ويجيب لنا بعض كتاب المسيحية عن هذا التساؤل واضعين أمامنا الصورة الحقيقية التى تمت فى المجمع حتى صدرت هذه القرارات على النحو التالى:

يقول المؤرخ المسيحى أدوارد جيبون موضحاً التحدى الذى أصدره قسطنطين للمخالفين من أعضاء المجمع قائلاً: "**لقد أقر قسطنطين عقيدة نيقية وأعلن فى عزم وإصرار أن أولئك الذين يقاومون الحكم الإلهى الذى أصدره المجمع يجب أن يعدو أنفسهم للنفى من البلاد فوراً**"(١).

ويقول القمص/ كيرلس: "**لقد وقع على قانون الإيمان هذا أكثر من ٣٠٠ أسقف ...**"(٢).

إذن: فلم يكن هناك إجماع من أعضاء هذا المجمع على قراراته، ومن الواضح بأنه لولا تدخل الإمبراطور والخوف من سلطانه وبطشه ما اتخذت هذه القرارات، حيث نقل عن مكان هذا الاجتماع بأنه قد أحاطه الجنود بأسلحتهم للنيل من أى أسقف معارض.

(١) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ج١، ص ٦٢٦ وما بعدها.
(٢) عصر المجامع، ص ٦٦.

وإذا كانت هذه هى الصورة التى خرجت منها قرارات المجمع النيقاوى الأول، عام (٣٢٥م): فقد تركت هذه القرارات وراءها آثار سياسية ودينية على العقدية المسيحية والمسيحيين كان منها:

١- إبعاد رجال الدين من "القساوسة والأساقفة" عن الأخذ بتعاليم الكتاب المقدس فى إصدار أحكامهم ذلك أن دستور الإيمان، الذى قرره المجمع واعتبرته الكنيسة دستورها الدائم فى عقيدتها قد قرر بطريقة غريبة وشاذة وهى بضم مجهودات الإمبراطور إلى الأساقفة لتنفيذه بالقوة، اعتماداً على سلطة الدولة، بدليل بأنه لم تنقض سنتان على مجمع نيقية هذا حتى غير قسطنطين موقفه واستدعى أريوس من منفاه وعفى عنه، بل عُمد فى آخر حياته على مذهب آريوس وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل بوضوح على تلاشى سلطان رجال الدين على مقدرات الأمور التى أصبحت بجلاء ألعوبة فى يد هذا الإمبراطور.

٢- سن هذا المجمع سنة جمع المجامع المسكونية وجعلها فى يد السلطان تجمع بأمره وتنفض بأمره وتقرر ما يشاء من أوامر، ويتضح ذلك من حال قسطنطين الذى عفى عن آريوس بعد محاربته فى بادئ الأمر ونفيه وحرق كتبه.

فقسطنطين لم يكن ذا عقيدة ثابتة، ولكنه لكى يحقق أهدافه السياسية نجده كان بولسياً مع البولسيين، وآريوسياً مع الآريوسيين ووثنياً مع الوثنيين، وعلى هذا المنوال تبعه الاباطرة والقياصرة ممن خلفوه فى قيادة الإمبراطورية الرومانية.

٣- كان لهذا المجمع أثره فى إبطال رأى الغالبية العظمى التى تمثل رأى المسيحية والمسيحيين والأخذ برأى الأقلية التى لا تمثل رأى رجال الدين بل تحقق أهداف السياسيين.

٤ – كان لهذا المجمع أثره فى صبغ المجامع المسيحية بالصبغة السياسية، وجعلها مجامع سياسية أقرب منها دينية، ذلك أن المجمع النيقاوى الأول الذى احتضنه قسطنطين بالبت فى موضوع الاختلاف فى العقيدة لم يكن كما يقول كرستوفر دوس: "**منظمة دينية صرفة بل يدين بوجوده للسلطة الإمبراطورية، ذلك لأن الإمبراطور احتفظ لنفسه بحق الدعوة لذلك المجمع، وهو الذى بنفسه قرر جدول المسائل التى يناقشها المجمع، ويصادق على قراراته بالموافقة الإمبراطورية**"(١).

وبهذا فرض المجمع نفسه على الناس بقوة السلطان لا برغبة الدين، حيث اتخذ صورة وطابع التنظيم السياسى أكثر منه تنظيماً دينياً.

وأخيراً: كان من أخطر ما أفرزه هذا المجمع قلب حقائق الأشياء الثابتة إذا أصبح القول بألوهية السيد المسيح أمر يجب أن يسود لدى جميع الأفراد فى أنحاء الإمبراطورية، حيث أذاع هذا المجمع – زيفا وزورا – بأن هذا القول هو رأى الغالبية العظمى.

وفى نهاية هذا المجمع نستطيع أن نجزم بأنه قد وضع فيه الجزء الأول من قانون الإيمان لديهم وهو تأليه المسيح، بصرف النظر عن ما دار حول هذا الأمر من خلافات فيما بعد.

وعلى هذا يمكنا القول بأن العقيدة المسيحية إلى ما بعد منتصف القرن الرابع لم تكن استكملت حقيقتها بعد، وما زال الأمر فى احتياج إلى خطوة أو خطوات أخرى لنصل إلى ما وصلت إليه مسيحية اليوم، وهذا بلا شك يصل بنا إلى ثانى هذه المجامع أهمية ألا وهو:

(١) تكوين أوربا، ص ٤٥.

المجمع المسكونى الثانى المنعقد عام (٣٨١م) "مجمع القسطنطينية الأول":

وهذا المجمع هو الذى أطلقت عليه الكنيسة – المجمع المسكونى الثانى – إذ اعتبرته من أهم المجامع المسكونية ذا الأثر الأكبر فى العقيدة المسيحية بعد المجمع النيقاوى الأول ويرجع سبب انعقاده إلى سببين رئيسيين: أحدهما سياسى والآخر دينى.

أ- السبب السياسى:

وهو الذى يهمنا هنا على الأخص ويتمثل فى دور "قسطنطين" الذى قسم الإمبراطورية قبل موته بين أبنائه الثلاثة: قسطنطين الثانى – قسطينوس وقسطاس.

حيث أخذ "قسطنطين" وهو أكبرهم سناً وكان فى الحادية والعشرين من عمره أسبانيا، وفرنسا، وبريطانيا – أى بلاد الغرب – وأخذ "قسطينوس" بلاد الشرق وكان فى العشرين من عمره، وأخذ "قسطاس" إيطاليا، وأفريقيا، وصقلية وكان فى السابعة عشر من عمره فقط(١).

فاتجه "قسطينوس" إلى الآريوسية، والآخران إلى الاثناسيوسية(٢)، واتجه كل حاكم من هؤلاء الثلاثة إلى توطيد نفوذه السياسى عن طريق تشجيع وتأييد المذهب السائد فى بلاده .. مما جعل الخلاف يتطور إلى انقسام حقيقى فى الكنيسة بين الشرق اليونانى والغرب اللاتينى.

(١) انظر: الدرة النفيسة، ص ٨٧.

(٢) انظر: أوربا العصور الوسطى، ج١، ص ٥٩.

وعندما توفى "قسطنطين الثانى" أصبحت مهمة الزود عن المذهب الإثناسيوسى – المؤله – تقع على كاهل رجال الدين فى الغرب، وذلك بعد أن توحدت الإمبراطورية تحت حكم "قسطنيونوس" (٣٥٣: ٣٦١م) الذى راح يعمل على فرض المذهب الآريوسى(١).

ولكن ظهر "ثيودوسيوس" (٣٧٩: ٣٩٥م) الذى يعد أول إمبراطور يُعمد على مذهب التثليث أراد أن يضمن بقاء وثنيته، وفى الوقت نفسه يمنع التفكك فى إمبراطوريته، فعمل بكل قوة على إخماد الآريوسية، وذلك بمحاصرتها حتى لا تمتد إلى مملكته وقد تمثلت الآريوسية – حينئذ – فى "مقدونيوس" وأصحابه كامتداد طبيعى للحركة الآريوسية، ومن أجل ذلك كانت دعوة الملك "ثيودوسيوس" إلى عقد مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١م) عندما رأى الخطر المحدق على إمبراطوريته.

فاجتمع المجمع المسكونى الثانى عام (٣٨١م) وفيه اكتمل مذهب التثلث اللاهوتى الذى قد أقر جزءاً منه فى مجمع نيقية الأول عام (٣٢٥م) بأمر الملك قسطنطين الأول.

وبذلك يظهر بجلاء مدى اتساع الدور السياسى على خارطة الدين، كما يتضح بأن الأمر يكاد لا يعد وبالنسبة لهؤلاء القياصرة والأباطرة إلا مجرد وسيلة هامة من سائل الحفاظ على ملكهم ومملكتهم، أما الدين والتشدق بالحفاظ عليه ومحاولة الوئام بين الأطراف المتنازعة فى أمره ما هو إلا قناع زائف ما يلبث أن يكتشف أمره العامى قبل الخاص.

(١) لذا ظلت القسطنطينية أربعين عاماً حصناً أميناً للمذهب الآريوسى تحت سلطان هذا الإمبراطور.

ب- أما السبب الدينى:

فهو ظهور الأفكار أو الهرطقات – كما يعرفها المسيحيون – التى لا تقر بألوهية الروح القدس وكما ذكرت سابقاً بأن المجمع النيقاوى الأول الذى عقد عام (٣٢٥م) قد أقر ألوهية المسيح إلا أنه لم يتعرض لذكر الروح القدس بشئ، بل ولم يرد فى قانون الإيمان النيقاوى شئ من الروح القدس ومن هنا كان الغرض الدينى البارز من انعقاد هذا المجمع – كما يذكر زكى شنوده[١]، ومؤرخو الكنيسة – "**محاكمة أصحاب البدع التى ظهرت فى ذلك الحين، ومنهم مقدونيوس ويوسابيوس وأيولينا ريوس**" وغيرهم من الهراطقة الذين أصدر "ثيودسيوس" فى الفترة ما بين (٣٨٠: ٣٩٤م) مراسيم صارمة ضدهم: ولكن كان أخطر هؤلاء الهراطقة – كما ترى الكنيسة "مقدونيوس" الذى جاهر بأن الروح القدس ليس بإله بل مخلوق ومصنوع، وقد شاعت مقالته وآمن بها الكثير، فشاعت الفتن وقامت على قدم وساق بين البطارقة بسبب مقالته، وتحدى هؤلاء رجال الدين مثبتين أن ذلك لم يقل به المجمع السابق[٢]، فكان انعقاد هذا المجمع لإصدار الحكم على هؤلاء بالحرمان والقطيعة من الكنيسة.

ب- كيفية انعقاد هذا المجمع:

فقد نقل عن المؤرخين أنه فى شهر مايو عام (٣٨١م) وبأمر الملك "ثاوسيوس" اجتمع فى مدينة القسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً لمحاكمة أصحاب البدع التى ظهرت فى ذلك الوقت مخالفة للكنيسة وامتدت مباحثتهم إلى شهر يوليو من العام نفسه[٣].

(١) انظر: موسوعة تاريخ الأقباط، ج١، ص ١٧٥.

(٢) انظر: الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة، ص ١٠٥.

(٣) تاريخ الكنيسة، ج٢، ص ٢١، والآلئ النفيسة، ج١، ص ٣٩٢.

وكان فى مقدمة المجتمعين ممثل الكنيسة بالإسكندرية، وقد دامت اجتماعات هذا المجمع ثلاثة أشهر لمحاكمة مقدونيوس وأصحابه الذى كان قوله – كما ذكرت سابقاً – بأن الروح القدس ليس بإله ولكنه مخلوق ومصنوع، وقد تصدى له تيموثاوس بطريرك الإسكندرية، قائلاً: "ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله بشئ غير حياته، أما إذا قلنا أن روح القدس مخلوق فقد قلنا أن حياته مخلوقه، وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حى، وإذا زعمنا أنه غير حى فقد كفرنا به، ومن كفر به وجبت عليه اللعن ..."(١).

وبعد: فإنه بإصدار السلطان مرسوماً عاماً فى ٢٨ فبراير عام (٣٨٠م) يأمر فيه الجميع أن ينضموا إلى الإيمان بالثالوث الأقدس خرجت قرارات هذا المجمع المسكونى الثانى كما خرجت قرارات المجمع المسكونى الأول محفوفة بضغط وسطو شديدين على المجتمعين، خرجت حسب رغبة الملك وأهوائه الشخصية والسياسية، وكانت قراراته محققة للثالوث الذى أراده على النحو التالى:-

ج- قرارات المجمع:

يحدثنا هنا ابن البطريق عن هذه القرارات قائلاً:

١- لقد اتفقوا على لعن مقدنيوس وأشياعه، ولعن أبوليناريوس وأشياعه أيضاً.

٢- كما ثبتوا أن الروح القدس خالق غير مخلوق، إله حق من طبيعة الأب والابن، جوهر واحد وطبيعة واحدة.

٣- زادوا فى الأمانة التى وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا فى نيقية صيغة "**وبروح القدس الرب المحى المنبثق من الأب الذى هو مع الأب والابن مسجود له وممجد**".

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق، ص ١٤٥، وموسوعة تاريخ الأقباط، ج١، ص ١٧٦.

٤- ثبتوا أن الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه، وثلاثة خواص وحديه فى تثلث وتثلث فى وحدية ...[١].

إلى غير ذلك من قوانين تتعلق بالنظام الكنسى لديهم لا داعى لذكرها لعدم أهميتها لدينا[٢].

وأخيراً: بعد عرضنا لهذا المجمع بقراراته نجد مؤرخ الكنيسة موريس يقادينى ورجال الفكر المسيحى يخرجوا علينا بحقيقة هامة ألا وهى: "**بأن هذا المجمع فى الأصل لم يكن مجمعاً مسكونياً وإنما كانت بدايته محلية، ولم يصبح مسكونياً إلا بعد حين، عندما وافق عليه بابا روما فى أوائل القرن الخامس الميلادى**"[٣].

وإذا كان الأمر كذلك، إذا فهذا المجمع قد انعقد بأمر الملك وتحت سلطانه شأنه فى ذلك شأن مجمع صور المحلى الذى عقد عام (٣٣٤م)[٤]، فكلا المجمعين كان يعبر عن اتجاه سياسى مضاد لكلا الإمبراطوريين قسطنطين الذى جنح – أخيراً – وعمد على مذهب آريوس وثاودوسيوس الذى

(١) تاريخ ابن البطريق، ص ١٤٥ وما بعدها.

(٢) انظر: تاريخ الأمة القبطية، ج٢، ص ١١٥، وتاريخ الكنيسة: موريس يقادينى، ج٢، ص ٢٣.

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة، ج٢، ص٢١، وفلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية، ج٢، ص ٢٨٩.

(٤) وقد كان السبب فى انعقاده ازدياد نفوس المذهب الآريوسى، ونجاحه القائل بعدم ألوهية المسيح ورضى الملك قسطنطين عن آريوس وأصحابه وازدياد المساوئ التى ألصقت باثناسيوس المؤله فاضطر القيصر أن يأمر بعقد هذا المجمع محاولة منه لاسترضاء سكان الجزء الشرقى من الإمبراطورية (انظر: أوربا العصور الوسطى، ج١، ص ٥٨، وتاريخ ابن البطريق، ص ١٣٠).

جاء مناصر لاثناسيوس المؤلـه، وكلاهما ما كان يبغيان من وراء هذا المظهر الدينى إلا رواجاً سياسياً فى حكمهما ومملكتهما.

ولكن مما يقف المرء أمامه حائراً، لماذا أصبح مجمع القسطنطينية هذا مجمعاً مسكونياً وقُبل من قبل بابا روما ولم يقبل بعد مجمع صور رغم أن عقيدته هى الغالبة؟

فلا نجد أمامنا من إجابة غير غلبة السياسة وسطوها على ما سواها، فالأمر ليس إلا أمر الأباطرة والقياصرة الذين يتلاعبون بالعقائد حتى صارت فى أيديهم كالكرة فى يد الطفل يدحرجها كيفما شاء وأيما اتفق(١).

ثانياً: ما يستوقفنا – أيضاً – باحثين ومتسائلين ما هو الأساس الذى قرر المجمع عليه ألوهية الروح القدس؟! على الرغم من انتفاء الدليل والسند على ما قرروه من جعل الروح القدس هى روح الله.

فالناظر فى كتابهم المقدس لابد أن تستوقفه هذه العقيدة الشاذة الملامح، ولنأخذ على ذلك مثلاً من كتابهم المقدس حيث ورد فى سفر العدد حكاية عن موسى: "**وأخذ من الروح الذى عليه واحل على السبعين رجلا الشيوخ، فلما استقر عليهم الروح تنبأوا إلا إنهم لم يستمروا**"(٢).

كما ورد فى إنجيل لوقا: "**وكان رجل فى أورشليم اسمه سمعان والروح القس كان عليه**"(٣).

إذن: فالروح القدس لديهم تحل فى موسى وفى الأنبياء وغيرهم من عامة الناس، فما هى إذن إلا قوة من قبل الله – سبحانه – ولكنها ليست قوة

(١) يا أهل الكتاب تعالوا، ص ٢٢٨ بتصرف.
(٢) سفر العدد ٢٥/١١.
(٣) ٢٥/٢.

مادية منظورة وليست إلهاً قائماً بذاته، بل قوة روحية قدسية من الله القدوس يؤيد بها من يشاء من عباده(١).

إذن يتضح بجلاء بأن الأمر برمته لا يتعدى يد السلطان ومصالحه الشخصية والسياسية، وهى أبعد مما يتصور المرء عن أى منظور دينى فقد اكتملت فكرة الثالوث المدعى من قبل الطائفة المسيحية ليس بأغلبية مطلقة – كما رأينا – ولكنها اتخذت بأغلبية مغلوبة على أمرها بأمر السياسة والسياسيين.

المجمع المسكونى العشرون عام (١٨٦٩–١٨٧٠م):

أسباب انعقاده:

السبب السياسى لانعقاد المجمع:

أما السبب السياسى لانعقاد هذا المجمع فيرجع إلى محاولة الكنيسة المتمثلة فى بابواتها وضع حد للنزاع القائم دائماً بينهم وبين الإمبراطور، ومحاولة انتزاع السلطة المطلقة من يد الإمبراطور والاحتفاظ بها فى أيديهم، وقد استطاعت نيل ذلك من سلطة المجامع التى توالت الواحد تلو الآخر والتى كانت نتائجها دائماً فى جانب البابا.

ومن أمثال تلك المجامع "مجمع اللاتران الرابع/ الثانى عشر المسكونى المنعقد عام (١٢١٥م) حيث أصبحت البابوية بناء على قراراته كل شئ إذ نفضت يدها من كل ما جاء فى الكتاب المقدس وأعطت لنفسها الحق فى التشريع المطلق والعصمة المطلقة(٢).

(١) انظر: الله واحد أم ثالوث، ص ١١٩ وما بعدها.

(٢) انظر: أوربا العصور الوسطى، ج١، ص ٤٠٢، والدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة، ص ٢٨٨.

إلا أن المجمع الذى كان ذا الأثر الحقيقى والفعال فى تحديد مسألة العصمة المطلقة للبابا هو المجمع الفاتيكانى فى العشرون المسكونى (١٨٦٩: ١٨٧٠م) الذى نحن بصدد الحديث عنه.

وهكذا: تستمر المجامع البابوية فى الانعقاد، وتستمر الظروف السياسية تجذب الكنيسة – يميناً ويساراً وأصوات الثائرين ضد الكنيسة فى كل مكان فى انجلترا على يد (وكلف) وخلفائه، وفى يوهيميا على يد (حنا هس) وزعمائه وفى ألمانيا حيث الثورة اللوثرية وقيام الكنيسة البروتستانتية وفى سويسرا .. حيث حمل كلفن عام (١٥٠٩م) مبادئ لوثر إلى جنيف ونشر المبادئ البروتستانتية ضد الكنيسة الكاثوليكية.

ولكن البابوية رغم كل هذا لها قانونها الخاص الذى يحركها، ومصالحها التى تسعى بكل قوة لتحقيقها فكان المجمع المسكونى العشرين تحدياً سافراً لكل هذه الاعتراضات.

أما السبب الدينى لانعقاده كما يلى:

تعتقد الكنيسة الغربية المتمثلة فى طائفة الكاثوليك بأن كاهن رومية الأعظم هو خليفة المسيح والمفسر الوحيد للكتب المقدسة والأخبار والنبوءات الإلهية، كما تقتنع بأن حل المسائل وفصل المشاكل سواء أكانت فى حق الدين المسيحى أو فى حق الإنجيل، يعود إليه وحده، لذلك كان ملجأ الدين المسيحى وسنده فى نظر الكاثوليك فهو الحبر الأعظم – البابا – وكل ما يقرره هو قطعى تجب طاعته لأنه قد وهب العصمة المطلقة من قبل الله، وبهذا أصبح البابا فى كل دور شارعاً كما يهوى وغافراً للذنوب كما يريد ويشتهى.

وقد استندوا فى معتقدهم هذا على القول أولاً بعصمة الكنيسة المطلقة ليتوصلوا من خلاله للقول بعصمة البابا فى روما، حيث كان قولهم بأن الكنيسة قد أعطت وصية أن تكون معلمة للعالم(١).

كما أعطت سلطات الحل والربط وأن كل من لا يسمع منها ينبغى أن يعامل كوثنى(٢).

فالكنيسة عندهم معصومة تحكم بسلطان فى كل ما يختص بالكتاب المقدس والتقليد وتفسيرهما .. وبناء على اعتقادهم بعصمة الكنيسة كهيئة حاكمة صرحت بالعصمة المطلقة للبابا خليفة مار بطرس ونائب المسيح على الأرض، وقد دللوا على معتقدهم هذا ببعض الأدلة الكتابية فى نظرهم حيث أوجبت الرجوع إلى النصوص التى تثبت رئاسة بطرس وخلفائه(٣).

كما ذهبوا إلى وجوب استمرار هذه الرياسة وذلك بانتقالها إلى ما خلفوه، وإلا لأصبح عمل المسيح ناقصاً، كما أوجبت استناد تلك الرياسة إلى الكنيسة الكاثوليكية فقط، لاعتقادهم أن الخليفة يلزم أن يخلف سلفه مكان وفاته، وقد توفى بطرس فى رومية، وبالتالى يكون الباباوات الكاثوليكيون هم خلفاؤه فى أسقفية روميه.

(١) انظر: متى ١٩/٢٨، ٢٠، لوقا ١٦/١٠.

(٢) انظر: متى ١٩/١٦، ١٨/ ١٥: ١٨.

(٣) ومن هذه النصوص "أنت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (متى ٣٨/١٦)، وهذه الرياسة الممنوحة لبطرس ليست تشريفية بل رئاسة سلطة حقيقية – كما يدعون – ولهذا قال له يسوع: "سأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما ربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السماوات وكل ما حللته على الأرض يكون محلولاً فى السموات" (متى ١٩/١٦).

كما دعموا معتقدهم هذا بالآية الإنجيلية التى تتضمن وعد المسيح القائل: "**ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**"(١)، معتبرين هذا الوعد دليلاً قاطعاً على عصمة الباباوات خلفاء بطرس؛ إذ هم المقصودون بهذا الوعد؛ لأن المسيح بالطبع يعلم أن الرسل لن يعيشوا على الأرض لنهاية الدهر ولا الرسل أنفسهم اعتقدوا بهذا، فإن لم يكن المقصود به هم خلفاء الرسل يصبح هذا الوعد بلا معنى، ولذلك لابد أن يكون هؤلاء معصومين من أى خطأ، لأن المسيح معهم فلا إمكانية لحدوث خطأ ما.

لذا لجأوا إلى عقد المجمع المسكونى العشرون لتثبيت هذا الأمر رسمياً، ومحاولة لإعطائه شئ من الشرعية.

وانطلاقاً من هذه السلطة التى أصبحت حقاً شرعياً للبابا بعد هذا المجمع فقد أدخلت البابوية على العقيدة المسيحية ما ليس منها، حيث كان من أبشع ما أدخلته البابوية ما يعرف بالعشاء الربانى(٢)، وما يعرف ببيع ما يسمى بصكوك الغفران(٣).

كيفية الانعقاد:

أما عن كيفية انعقاد هذا المجمع فيقول صاحب كنز النفائس فى اتحاد الكنائس: "**أن المجمع الفاتيكانى المنعقد فى روما عام (١٨٦٩: ١٨٧٠م) كان مؤلفاً من (٧٠) أسقف من البابويين، وانعقد هذا المجمع**

(١) متى ١٩/١٦.

(٢) حيث ذهبت الطائفة الكاثوليكية وشاركتها القول الطائفة الأرثوذكسية بأن عشاء الرب لديهم هو ذبيحة القداس، وهو ذبيحة حقيقية وهى ذات جسد الرب ودمه الطاهرين تحت أعراض الخبز والخمر وذلك خلافاً لمعتقد البروتستانت.

(٣) وصورة تلك الصكوك: "بأن التائب المعترف إذا أدى ما عليه من فدية إى إذ أخرج بعض المال لنفقات الكنيسة تسلم صك غفران جزئى أو كلى، ولم يكن هذا الصك ليجيز له أن يرتكب ذنوباً جديدة بل يمكنه من أن ينجو يوماً أو شهراً أو عاماً من عذاب المطهر... (قصة الحضارة: الإصلاح الدينى، ج١، من المجلد السادس، ص ٥٠).

بسبب مسألة العصمة البابوية .. التى أرادها البابا لنفسه، فهذا المجمع البابوى مراعاة لإرادة البابا المطلقة وأمره، قرر اعتقادياً أن البابا عندما يتكلم من الكرسى فى الأمور الدينية والأدبية فهو معصوم من الخطأ.."(١).

وكان نص ما ورد فى هذا القرار ما يلى: "**تعلم ونحدد كعقيدة موحاة من الله أن الحبر الرومانى عندما يتكلم من أعلى كرسيه – أعنى عندما يقوم بعمل الراعى والمعلم لجميع المسيحيين أنه يجب على الكنيسة جمعاء اعتقاد تعليم ما مختص بالإيمان والآداب – يكون بفضل المساعدة الإلهية الموعود بها فى شخص بطرس حائزاً على تلك العصمة التى أراد المخلص الإلهى أن تكون كنيسته مزودة بها وعليه تكون تحديدات الحبر الرومانى هذه بذاتها لا بسبب موافقة الكنيسة عليها ثابتة غير قابلة للتحوير، وإذا تجاسر أحد على تخطئته تحديدنا هذا فليكن محروماً**"(٢).

وكان من أهم ما خلفه هذا المجمع المسكونى أن قام أكابر اللاهوتيين الألمانيين وكذلك الآباء الفرنسيون والإيطاليون وكثير من المسيحيين الغربيين، ورفضوا هذه العقيدة المضادة للكتاب المقدس وهجروا الكنيسة البابوية ولقبوا أنفسهم "كاثوليك قدماء" وأرادوا بهذه التسمية أن يدللوا أنه كاثوليك حقيقيين يحافظون على عقائد الكنيسة القديمة ويرفضون البدع العصرية الجديدة.

وهكذا كان من أخطر ما أنتجه هذا المجمع المسكونى الأخير: أن انقسمت الكنيسة الغربية على نفسها – كما أن المسيحية لم تقف عند هذا الحد من حصاد ما فعله هذا المجمع وما اتخذه من قرارات، بل ابتليت بنوعاً

(١) ص ١١٩: ١٢٠.
(٢) انظر: سلاحك أيها المسيحى، ج١، ص ١٢٢ وما بعدها.

جديداً من المجامع الفاتيكانية[١]، الأخرى التى عقدت بأرض البابوية بجوار البابا وتحت رئاسته وحمايته، ليتحقق بدوره السياسى الذى يبتغيه، وليأخذ مكانه بين ساسة العالم .. ولتنقلب المجامع المسيحية إلى مجامع سياسية محضة وتسفر عن وجهها الحقيقى الذى طالما أجهدت نفسها لمحاولة إعطاءه الوجهة الدينية اللازمة، والمجمع الذى أطلق عليه اسم "مجلس الكنائس" المنعقد عام (١٩٦٢م) يظهر لنا مدى حقيقة الغرض الأساسى لعقد المجامع فى المسيحية، وهذه شهادة أحدهم على ذلك إذ يقول الأستاذ سامى بولس عن الغرض الذى من أجله انعقد هذا المجمع فى كتاب أسماه مجلس الكنائس العالمى: "**الغرض من هذا المجلس الوصول إلى أغراضه السياسية، وليشيع الفَّرقة بين المصريين عامة والأقباط خاصة، ويوجد الانقسام بينهم وفى الكنيسة القبطية بالذات وقد تفشى بين أفراده كل إثم تقشعر منه الأبدان**"[٢].

إذن: فهذه شهادة صريحة على أنفسهم بأن المجامع انقلبت رأساً على عقب، وانشغلت بالسياسة وتركت الدين كلية.

(١) نسبة إلى الفاتيكان وهى أصغر مدينة فى العالم من حيث مساحتها وحجم سكانها، إذ تبلغ مساحتها ٤٤كم٢ تقريباً، بينما لا يتعدى تعداد سكانها الألف نسمة، ومن ثم فهى فى الواقع كنيسة كبيرة داخل إيطاليا، بيد أنها دولة لها استقلالها الكامل وفق اتفاقية "اللاتران" التى أعطت للفاتيكان حق التمثيل الديبلوماسى فى حوالى (١٢٦) دولة فى العالم (Center for Islamic Studies) .

(٢) الناشر المكتبات القبطية بدون تاريخ، الطبعة المتحدة، ص ٢٠.

المبحث الرابع
الصراع الكنسى لنيل السلطة الدنيوية

يعد الصراع الكنسى من أفضل ما يجسد لنا دور التيار السياسى وأثره البالغ على العقيدة المسيحية حيث أتخذ هذا الصراع له عدة وجوه ليسفر لنا عن حقيقته وغايته الأساسية التى يسعى لاهثاً إليها، متخطياً لكل الأعراف والمعارضات، واضعاً نصب عينيه الوصول إلى ما يبتغيه مهما كلفة الأمر، ولنرى ذلك بشئ من التفصيل فيما يلى:-

أولاً: الصراع بين الكنيسة والسلطة الزمنية:

لقد اعتقدوا الباباوات فى العصور الوسطى بأنهم رأس الكنيسة الكاثوليكية الغربية، ومصدر ولايتها والحراس على قوانينها ونظامها و عقائدها ومعلمين اتباعها، والمعصومون من الخطأ، هذا فضلاً عن كونهم نواب المسيح على الأرض - كما يدَّعون - لأنهم يستمدون سلطتهم من تعيين المسيح لهم مباشرة، ومن هنا أخذت البابوية تستمد سلطانها، وتفرض إرادتها، وتنظم سيادتها على أسس إقطاعية فعالة، مما جعل التطابق محكم بين الكنيسة والجهاز السياسى فى غرب أوربا حتى جاء سقوط الإمبراطورية الغربية فى القرن الخامس ليجعل منها القوة الوحيدة فى غرب أوروبا ذلك أن البابا "جريجورى الأول" (٥٩٠: ٦٠٤م) أخذ يعمل على تقوية البابوية السياسى، ويجعل هذا النفوذ حقيقة ملموسة فى مختلف بلاد الغرب بل الشرق المسيحى، ثم كان الانشقاق المذهبى والسياسى بين الشرق والغرب وهو الانشقاق الذى بدت مظاهره واضحة فى الجدل حول مشكلة الأيقونات(١).

(١) ونجد هذه المشكلة قد أثيرت ودار النقاش فيها فى المجمع المسكونى السابع "النيقاوى الثانى".

وقد التفت الشعوب الغربية تدريجياً حول البابوية لتقف موقفاً سياسياً مضاد للإمبراطورية الشرقية ثم فى إحياء الإمبراطورية الغربية على عهد "شرلمان" عام (٨٠٠م) وما بعدها، وسرعان ما اتضح مرة أخرى أن بقاء الحضارة الغربية واستمرارها بات متوقفاً على الإصلاح الكنسى، وأن هذا الإصلاح يتوقف بدوره على قيام سلطة كنيسية مركزية قوية تستطيع الصمود فى وجه السلطة الزمنية.

وهكذا بلغت الكنيسة مرحلة حاسمة فى تاريخها فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر منذ عصر "جريجورى السابع" الذى وقف من الإمبراطورية موقفاً عنيداً مما أدى إلى دخول البابوية فى صراع طويل ضد الإمبراطورية(١).

وقد عقدت من أجله المجامع المحلية الكثيرة، ثم لما لم تأت بنتائج مستحسنة عقدت الكنيسة المجامع المسكونية بالقصر البابوى "اللاترانى" لهذا الغرض نفسه.

وقد استمرت هذه الفوضى المعروفة "بالعصور المظلمة" التى لم تستطع فيها الكنيسة الغربية تعديل الأوضاع الخاطئة لأنها نفسها قد تعرضت لموجة جارفة من الانحلال والذبول فى القرنين التاسع والعاشر، حيث جرف التيار الإقطاعى رجال الدين، وتصدع سلطان البابوية(٢).

ثم ما نلبث أن نجد الخلاف قد اشتدت أواصره مرة أخرى بين الأمراء والبابوية حول مسألة التعينات، أعنى من هو صاحب الحق فى تعيين الأساقفة، أهو الإمبراطور أم البابا؟ والذى تسمى "بالتقليد العلمانى"(٣).

(١) انظر: أوربا العصور الوسطى، ج٢، ص ٣، والدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة، ص ٢٥٢.

(٢) انظر: الحركة الصليبية، ج١، ص١٨.

(٣) وهو أن يقم الحكام العلمانيون من أباطرة وملوك وأمراء بتقليد رجال الدين لمهام مناصبهم الدينية حيث أن الأوضاع تغيرت فأصبح أصحاب الأراضى من الإقطاعيين يقومون بتعيين القساوسة فى حين تولى الأباطرة والملوك تعيين الأساقفة. (موجز تاريخ العالم، ص ٢٢٥).

وكان من أهم المجامع المحلية التى عقدت من أجل حسم الخلاف بين البابوية والإمبراطورية (مجمع اللاتران بروما سنة ١٠٥٩م) وقد استطاعت فيه البابوية أن تتحرر من نفوذ نبلاء روما وسيطرة الأباطرة[١]، و(مجمع روما سنة ١٠٧٤م) وقد اتخذت فيه قرارات حاسمة بشأن البابوية، إذ حمى بقراراته رجال الدين من إشراف الملوك والأمراء، وأنذر بصدام عنيف على الحاكم العلمانيين.

ويؤكد هذا الأمر برتاند رسل إذ يقول: "**يذكر التاريخ الأوربى منذ عهد "جريجروى السابع" حتى منتصف القرن الثالث عشر حول الصراع فى سبيل السلطة بين الكنيسة من جهة والملوك العلمانيين من جهة أخرى**"[٢].

وقد بدأت أولى حلقات هذا الصراع عام (١٠٧٦م)[٣]، وقد حشدت كل من البابوية والإمبراطورية جميع قواها وإمكانياتها للتغلب على الطرف الآخر وشاءت الظروف أن يتبلور هذا الصراع بين "جريجورى السابع" و"هنرى الرابع" حول شغل بعض الأسقفيات الشاغرة – وبخاصة فى شمال إيطاليا – إذ أصر كل من البابا والإمبراطور على أنه وحده له حق تعيين من يشغلون هذه المناصب، وتمسك كل منهما برأيه، لأنه رأى فى انتصار خصمه تحطيماً للمبدأ الذى يسعى هو من أجل تحقيقه.

ثم توالت الاتفاقات والمجامع المحلية إلى أن انعقد المجمع اللاترانى الأول "التاسع المسكونى المنعقد عام (١١٢٢م)" وقد حسمت فيه النتيجة الختامية للمعركة الأولى بين البابوية والإمبراطورية، وهى أن البابا الذى كان

(١) أوربا العصور الوسطى، ج١، ص ٣٤١.
(٢) تاريخ الفلسفة الغربية، ج٢، ص ٢٠١.
(٣) أى قبل الحركة الصليبية بنحو عشرين عاماً.

فيما مضى خاضعاً للإمبراطور قد أصبح الآن مع الإمبراطور على قدم المساواة.

ثم كان مجمع اللاتران الثانى "العاشر المسكونى عام (١١٣٩م)" وقد أعلن فيه رسمياً بأن البابا له السيادة العليا على جميع الحكام العلمانيين الذين لا يحق لهم التدخل فى شئون الكنيسة(١).

وفى وسط تلك الغطرسة البابوية قامت المفاوضات بين البابوية والإمبراطورية من جهة وبين البابوية وبطريرك القسطنطينية "الكنيسة الشرقية" من جهة أخرى وذلك لبحث اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية لكسب المآرب السياسية للبابوية فعقدت من أجل ذلك المجامع الآتية:-

١- مجمع ليون الأول: الثالث عشر المسكونى عام (١٢٤٥م) لإنهاء الخلافات بين البابوية والإمبراطورية.

٢- مجمع ليون الثانى: الرابع عشر المسكونى عام (١٢٧٤م) لأجل اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية.

٣- مجمع فينا: الخامس عشر المسكونى عام (١٣١١م) وبانعقاده بدأت البابوية فى الأفول آذنه بالانشقاق الدينى الأكبر فى الكنيسة الغربية الذى استمر زهاء الأربعين عاماً (١٣٧٨: ١٤١٧م) حيث انقسم العالم المسيحى الكاثوليكى إلى قسمين:-

أ- فريق انضم إلى بابا روما واعترف برئاسته.

ب- فريق ثانى انضم إلى بابا أفيتون واعترف برئاسته.

ويحق لنا أن نقف هنا وقفة قصيرة لنتأمل سوياً حال هؤلاء الرجال المدعين - زيفاً - بأنهم رجال دين، والذى من المفترض أنه لا يعنيهم فى أمر

(١) انظر: أوربا العصور الوسطى، ج١، ص ٣٧١ وما بعدها.

هذه الدنيا إلا الجانب الروحى والتعبدى من أمر تلك الديانة، ولكن الحال على ما نراه مضاداً تماماً لهذا.

فقد أزجوا بأنفسهم فى غياهب السياسة فأنستهم أنفسهم وبعدت بهم عن ما كان مفترض أن يكونوا عليه من تقوى وصلاح وتفرغ لأمر الدين، وانشغلوا كلية – كما رأينا – فى محاربة أصحاب السلطة الزمنية محاولة منهم وطمعاً فى سلبهم إياها لتكتمل لهم المنظومة التى يريدونها لأنفسهم من سيطرة وجاه وبسط النفوذ السياسى الذى له اليد الطولى فى التحكم والسيطرة على رقاب العباد.

ولم يقف أمر هذا الصراع إلى هذا الحد، بل ما لبث أن ارتدى وجه آخر مغاير تماماً لسابقه، ولم يتلاق إلا فى غاية كل منهما، وكان هذا الصراع فى هذه المرة أخطر وأصعب من سالفه، حيث ظهر موجه من كنيسة إلى أخرى، وبهذا نصل إلى النقطة التالية.

ثانياً: الصراع الكنسى بين الكنيسة ومماثلتها لبسط النفوذ السياسى وما يترتب عليه:

أ- لقد احتدم الصراع بين كنيستى روما والقسطنطينية لفرض الزعامة الدينية على العالم، وقد اتخذت كل كنيسة أسباب سياسية وأخرى دينية لتحقيق ذلك:

فنجد كنيسة "القسطنطينية" تعتمد على أنها مركز للعالم، وذلك لأن الكنيسة فى الشرق أسلمت زمامها للأباطرة الذين ازداد تدخلهم فى الشئون الدينية للكنيسة، حتى غدا من العسير وقف تدخل الإمبراطور البيزنطى فى شئون الكنيسة الشرقية، فأصبح بالتالى الإمبراطور فى القسطنطينية يمثل نوعاً من القيصرية البابوية التى تعنى الجمع بين السلطتين السياسية والدينية،

وبالتالى انبسط سلطان أسقفها على العالم المسيحى تبعاً للبسط السياسى لسلطان الإمبراطورية.

أما فى الغرب فقد كان الوضع مختلفاً للضعف الذى دب فى الإمبراطورية الغربية بعد انقسام العالم الرومانى وهنا وجد رجال الكنيسة فرصتهم فاتجهوا إلى أسقف روما ليجعلوا منه إمبراطوراً دينياً، لذا عملوا على تحويل كرسى أسقف روما إلى بابوية تكون لها السيادة العليا على الكنيسة فى مختلف بلدان العالم.

واعتبرت نفسها خزانة التراث المسيحى بناء على انفرادها من بين سائر الكنائس بأن منشئها الرسول بطرس أعلى الرسل مكانة لدى المسيح واتباعه – كما يدَّعون – وقد استقرت سيادتها المزعومة بمنشور أذاعه "فلانتين الثالث" بتحريض البابا "ليو الأكبر" عام (٤٧١م)(١)

ومن ذلك التاريخ بدأ الصراع على أشده ونشأت فكرة الخلافة الرسولية التى تشبثت بها الكنيسة الكاثوليكية حتى اليوم، وانعكس ذلك بطبيعة الحال على إبداء الرأى فى المسائل الدينية.

وكان مجمع "أفسس الأول" سنة (٤٣١م) من مثار هذا الصراع، وكان السبب السياسى لانعقاده فضلاً عن السبب الدينى بأن الإمبراطور الرومانى قد اعتاد كأسلافه محاربة ما يسمو لديهم بالهراطقة حيث قام "نسطور" – حينئذ – بعد أن تولى أسقفية القسطنطينية بنشر عقيدته فى المسيح وهى القول بالطبيعة البشرية المصاحبة للطبيعة اللاهوتية حتى اهتزت لأصواته أعمدة الكنيسة فسارع الملك لعقد هذا المجمع محاولة لتفادى بلاطه ما وقع فيه من حيرة وارتباك، لذا أمر باستخدام كل وسيلة ممكنة

(١) انظر: قصة الاضطهاد الدينى، ص ٥٦.

لتحقيق ذلك، وحاول عزل الزعماء أو تخويفهم، ومنح ممثليه فى المجمع سلطة كبيرة وقوة عسكرية كافية للوصول إلى مبتغاه(١). ولكن عندما أخلف ظنه فيما أراد من وراء هذا المجمع أمر بفضه غاضباً. وبلغ هنا الصراع ذروته بالانقسام الحقيقى فى مجمع "أفسس الثانى" المنعقد عام (٤٤٩م) حيث لم يعترف أسقف روما بقراراته وأطلقت عليه الكنيسة الكاثوليكية مسمى "مجمع اللصوص".

لذا سارعت بعقد المجمع "الخلقدونى" عام (٤٥١م) للرد على مجمع أفسس الثانى وإبطال قراراته ولعن كل من قال بتلك التعاليم.

والمنقب فى حقيقة عقد هذان المجمعان وما انتهوا إليه من قرارات سيجد نفسه أما مصالح سياسية ليس إلا، ويتضح ذلك من شأن الإمبراطور الرومانى "**ثيودوسيوس**" الذى سعى بكل قوة لجمع مجمع أفسس الأول رغبة منه فى توحيد إمبراطوريته واتخاذ قرارات تلزم الجميع، ولهذا عندما أصدر المجمع قراراته أبقاها "ثيودوسيوس" نافذة المفعول حتى موته عام (٤٥٠م)(٢).

مما يؤكد لنا أنه كان لا يهمه من وراء هذه المجامع وعقدها إلا مصلحته السياسية، أما المسائل الدينية فيجب أن تنتهى على أى وجه كان.

وهكذا كان شأن أباطرة الرومان مع تلك المجامع الدينية المظهر فقط، ومما يقوى هذا الأمر ما نجده من سبب – أيضاً – فى انعقاد المجمع الخلقدونى، حيث نجده انعقد – أيضاً – نزولاً عن رغبة سياسية بحتة، وهى تحقيق هوى من يتولى أمر العرش والإمبراطورية، وهذا ما كان بالفعل عندما مات "ثيودوسيوس الثانى" وخلفته على العرش الأرثوذكسية "بولكريا" وكان

(١) انظر: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية، ج٢، ص ٥٠٤: ٥٠٩.
(٢) انظر: فلسفة الفكر الدينى، ج٢، ص ٣١٩.

رأيها يخالف قرارات المجمع السابق، حيث نجدها قد مالت لأنصار القول بالطبيعيتين المنفصلتين فأصدرت دعوة – حينئذ – لبطريك روما لعقد مجمع آخر فى مدينة خلقدونية وقد كان(١).

وبعد: فلا يبق لنا إلا أن نؤيد ويلز فى قوله: "**بأن ثمة أمر هام جداً علينا أن نلحظه ونسجله: وهو الدور الذى لعبه الإمبراطور فى تثبيت المسيحية – المحرفة – فلم يقتصر الأمر على أن قسطنطين الكبير هو الذى دعا إلى عقد مجمع نيقية، بل أن كل المجامع العظيمة جمعتها كلها يد الإمبراطور**"(٢).

وإن كان ما سبق قد دار أحداثه فى العصر القديم إلا أنه مازال حياً يتردد صداه إلى اليوم، ويظهر ذلك جلياً على الرغم من شعارات الأخوة والمحبة التى يتشدقون بها وقد ظهر ذلك فى أبهى صوره عندما قام بابا الفاتيكان – الحبر الأعظم للكنيسة الكاثوليكية العالمية كما يدعونه – بزيارة لمصر فى اليوم الرابع والعشرين من شهر فبراير عام (٢٠٠٠م) ورفض أثناءها بطريرك الأقباط الأرثوذكسى أن يكون فى استقباله بمطار القاهرة مع جوقة المستقبلين، وما كان ذلك إلا لإبداء أن رأسه برأس البابا القادم من الغرب، أى أن هناك – ما زال – نوعاً من تنازع الهيمنة بين المذهبين كما كان فى الماضى.

كما لم تسمح طائفة الروم الأرثوذكسى التى تمتلك دير "سانت كاترين" لبابا الفاتيكان بإقامة قداس يترأسه هو داخل الدير، حتى لا يفهم أن

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق، ص ١٨١.
(٢) معالم تاريخ الإنسانية، ج٣، ص ٧٢١.

الدير يدخل فى تبعيته الكاثوليكية، ولذا فإن بابا الفاتيكان صلى بخارج الدير بحدائق الزيتون المجاورة ولم يصل داخل الدير(١).

ولم يقتصر النزاع والصراع بين الكنيسة ومماثلتها على الطائفة الكاثوليكية والأرثوذكسية فقط، بل امتد لينل - أيضاً - الطائفة البروتستانتية المستحدثة المنشأ والطائفة الكاثوليكية، وذلك حينما ظهر على ساحة الأحداث "مارتن لوثر"(٢) أستاذ علم اللاهوت فى الجامعة، وطُلب منه أن يشهد بفاعلية صكوك الغفران التى ابتدعتها الكنيسة الكاثوليكية، فرفض لوثر الذى كان يعرف من الكتاب المقدس أنه ليس لأحد مقدرة أن يغفر الخطايا إلا الله وحده رفضاً شديداً، وأخذ يندد بتلك التجارة بالإلهيات، وسرعان ما ألف باللاتينية خمسا وتسعين رسالة أطلق عليها اسم "بحث فى بيان قوة صكوك الغفران" وكان الغرض من هذه الرسائل دحض الادعاءات المغالى فيها بشأن صكوك الغفران، وبيان الخطأ فى تلك العقيدة التى تجعل من الخطيئة أمراً تافهاً يمكن تسويته ودياً بصيغة تعقد مع بائع يتاجر بالغفران.

وفى يوم الحادى والثلاثين من أكتوبر عام (١٥١٧م) ألصق هذه الرسائل على الباب الرئيسى لكنيسة القيصر فى "ويتمنبرج" ولم يكتف بذلك

(١) انظر مجلة السنة، العدد (٩٤) Center for Islamic studies .

(٢) ولد المصلح الألمانى مارتن لوثر فى قرية صغيرة تسمى "أسليين" فى تورنجيا بألمانيا فى يوم ١٠ نوفمبر (١٤٨٣م) وقد ولد فى أسرة فقيرة، فأبوه كان يعمل فى مناجم النحاس كما كان حطاباً مسكيناً يستجدى الناس (تاريخ حياة لوثر، ص ٧) وبرغم هذه الظروف القاسية أرسل إلى مدرسة الأخوة الفرنسيسكان فى مدينة "مجديورج" وبعد أن أصبح عمره ثمانية عشرة عاماً وبالتحديد عام (١٥٠١م) دخل مدرسة آرنورت حيث تفرغ لدراسة فلسفة العصور الوسطى وحصل على درجة الليسانس فى الآداب، كما منحت له درجة الماجستير، والتحق بكلية الحقوق إلا أنه كان دائم الإحساس بفساد طبيعته مما جعله ينهى دراسته فى القانون ويلتحق بأحد الأديرة فى (١٥٠٥م) ثم رسم كاهناً فى (١٥٠٧م) وحصل على الدكتوراه فى اللاهوت (١٥١٢م) (مارتن لوثر حياته وتعاليمه، ص ٢٥ وما بعده).

بل قام بترجمتها إلى الألمانية وتوزيعها على الناس لكى يتأكد من أنها سوف تفهم على أوسع نطاق.

وبهذه الرسائل وبما أشاعه من مفاهيم أثار حرباً على أوراق الغفرانات البابوية لا هوادة فيها ومما حدى بلوثر لفعل ذلك بكل جراءة وقوة بأن الجبهة السياسية – حينئذ – التى تمثلت فى الأمراء والإمبراطور قد تدخلت بكل قوة لمساندته وتشجيعه، رغبة منها أن تستغل تلك اليقظة الدينية ضد تصرفات الكنيسة الكاثوليكية ورجالها لتقويض دورها وسلبها ما أحاطت به نفسها من رئاسة مفتعلة ورياسة تجاوزت فى أوامرها حد الغلو، فبتعليق هذه الرسائل على أبواب الكنيسة اشتهر أمرها وأصبحت حديث الطبقة المتعلمة فى ألمانيا إذ كان الآلاف ينتظرون احتجاجاً كهذا، فهللت له الحركة المضادة لرجال الدين وانطلقت من عقالها خاصة طبقة السياسيين(١).

وهذا ما شجع لوثر فى المضى قدم لمحاربة الكنيسة القيصرية حيث احتمى فى هؤلاء السياسيين ويتضح هذا فى رفضه لدعوة البابا "ليو العاشر" إلى روما فى ٧ يوليو سنة ١٥١٨م، كما جدد رفضه لدعوة البابا هذا للمرة الثانية أيضاً فبادر إلى حرمه، فلم يخشى لوثر الحرم البابوى ولكنه فى اليوم العاشر من ديسمبر (١٥٢٠م) أمسك بيده قرار البابا بحرمه وقذف به فى النار مع بعض المراسيم الكنسية.

وفى الحادى عشر من ديسمبر أعلن لوثر أنه لا يمكن للإنسان الخلاص ما لم يتبرأ من حكم البابوية، وهكذا حرم لوثر البابا من غفران الكنيسة، واتسعت تلك الحركة حتى اعتنقها أغلب أمراء شمال ألمانيا بل

(١) انظر: كنز النفائس فى اتحاد الكنائس، ص ٤٨ وما بعدها، وقصة الحضارة، مجلد ٦، ج٣، عدد ٢٤، ص ٩٠٢.

أصبح هؤلاء الأمراء أنفسهم على رأس الكنائس الجديدة مما زاد فى سلطانهم(١)، وكان من أهم الآثار الذى طبعته الثورة اللوثرية على صفحات التاريخ الكنسى أنها شطرت الكنيسة الغربية شطرين، فضلاً عن إساءة العلاقات بين الكاثوليك والبروتستانت واستراب أحداهما فى نوايا الآخر، وتمكنت القطيعة والنفرة بينهما وغرقت أوربا فى حروب دينية تربو على الثلاثين عام، اتسعت فيها هوة الكراهية وسوء التفاهم واكتسحتها موجة من التعصب الدينى خاصة بعد أن قامت حركة الإصلاح الكاثوليكى التى نادت بإصلاح الكنيسة الغربية ولكن فى اتجاه غير الاتجاه الذى سار فيه لوثر(٢).

ج- الصراع بين الكنيسة الكاثوليكية والمفكرين والعلماء:

إذا سرنا معاً بخطوات واسعة مع الضروب المتعددة للصراع، فما نلبث أن نجد أنفسنا أمام نوعاً جديداً من هذا الصراع، تمثل فى الصراع الذى دار بين الكنيسة الكاثوليكية - خاصة - وأنصار الفكر والعقل حيث نحت الكنيسة الكاثوليكية منحى آخر بأن أعلنت الديكتاتورية التى لا تستند على شرعية سليمة، فضغطت على الغرب المسيحى بكل قوة وبالغت فى فرض آرائها ومنازعها عليهم مبالغة تجاوزت حد الغلو، وما ذلك إلا من خوف رجال الدين الذين يستمدون سلطانهم من الدين من النزعة التجريبية وأنصارها أن تؤدى لضعف السلطان الدينى نظراً لما تفيض إليه من شك فى الكتاب المقدس فيضعف المصدر الذى يستمد منه رجال الدين، ويضعف سلطانهم بضعفه، وتقوى السلطة السياسية إذا ما انضم إليها سلطان البحث العلمى على غرار تأييدهم لمارتن لوثر فى مواجهة البابا لإضعاف نفوذه وإطلاق نفوذ السلطة السياسية.

---

(١) انظر: تاريخ ألمانيا، ص ٥٤ وما بعدها.

(٢) انظر: عشرون قرناً فى موكب التاريخ، ص ١٧٩: ١٨٢.

لذا أخذت الكنيسة إجراءات مشددة لحماية سلطانها هذا وذلك بإعلان حقها المطلق فى تفسير الكتاب المقدس، والتحذير على أى عقل من خارج الكهنوت أن يتجاسر فى مخالفة هذا ومحاولة فهمه مستقلاً[١] – ولم تكتف بذلك ولم تقف عند هذا الحد من الغلو بل اتبعت هذا بإدخال معميات فى العقيدة لا سبيل إلى إدراكها أو تصورها لخروجها عن معطيات العقل، وكان من هذه المعميات بدعة "العشاء الربانى"[٢]. حيث ادعت الكنيسة الكاثوليكية وشاركتها القول الكنيسة الأرثوذكسية بأن الخبز والخمر يتحولان بطريقة سرية إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته مع بقاء الخبز والخمر كما هما فى الشكل والطعم واللون وبذلك أصبح الكاهن كما قال البابا "أريان" هو الذى يعمل المسيح ويقدمه لله ذبيحة كفارية عن الناس، ومن ثم أخذ معظم القائلين بالاستحالة يقدمون السجود للعشاء الربانى ولكاهنه[٣]. ولم تكتف الكنيسة بهذه البدعة بل لاحقتها ببدعة أخرى أكثر إساءة من سابقتها وهى بدعة "بيع صكوك الغفران" التى كانت من أكبر مهازل التاريخ الكنسى.

(١) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا، ص ٥٠.

(٢) وقد سمى بـ "سر المذبح" أو الأسرار الرهيبة أو ذبيحة الاستغفار وغير ذلك من الأسماء التى ليست من الكتاب المقدس بل أنها وليدة الاعتقاد بالاستحالة (العشاء الربانى، ص ٨) كما أوضح نفس الكتاب بأن تناول الخبز والخمر معاً كان من العادات المألوفة لدى اليهود قديماً وقد نهوا عن ذلك كما جاء فى سفر ارميا ٦/١٦: ٧ (العشاء الربانى، ص ٩).

(٣) انظر: الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة، ص ٢٦٧ وما بعدها، وانظر هنا كيف خالفت البابوية ما جاء به المسيح وأدخلت فى الدين ما ليسمنه فالمسيح لم يأمر تلاميذه بالسجود لشئ إلا لله كما قالت أناجيلهم وكما أمرت وصاياهم "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد:، متى ١٠/٤).

وصكوك الغفران هذه تبيح لمن يشتريها أن يضمن لنفسه ولمن مات من أسرته وأقاربه وأصدقائه مساحة يحددها من الجنة بمقتضى عقد بإمضاء البابا(١).

الوسائل التى لجأت إليها الكنيسة لنيل مآربها السياسية والدينية:

أ- إنشاء ما سمى بـ "محاكم التفتيش" التى مارست من خلالها شتى أنواع الاضطهاد والتنكيل: ويزيد الأمر وضوحاً صاحب الدرة النفيسة إذ يقول عن جور هذه المحاكم: "**أن من أبغضه البابا أو بعض الإكليروس أو الرهبان كان ينسب إليه الابتداع فى الحال، فيعرض أمره لمحكمة الفحص الشريف: أى محاكم التفتيش وكانت النار معدة فى كل وقت، وقد أحرق بحجة الابتداع كثيرون من الأبرياء وصودرت أملاكهم أما بغضاً أو طمعاً فى سلب أموالهم ...**"(٢).

ب- ومن ضمن الوسائل التى لجأت إليها - أيضاً - الكنيسة لبسط سلطانها السياسى والدينى ما أحاطت به نفسها من هالة من الهبات والإتاوات والعشور والهدايا والغصب والنهب حتى أصبحت من ذوات الإقطاع، بل كانت أملاكها أحياناً تفوق أملاك الأباطرة وأمراء الإقطاع، وإن كان هذا قد حدث فى العصور الوسطى فلا يظن ظان أنه قد اختفى أو زال فى العصر الحديث، وللتأكد من ذلك فلنستمع إلى إحصائية مبسطة عن مالية الفاتيكان ومن يعتلى الكرسى الرسولى البابوى على لسان د. محمد عيسى داود إذ يقول: "**إنه لمن الصعب التطرق لموضوع**

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، ص ٦٣، (وقد صدق فيهن قول الله الحق: ﴿إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سورة التوبة، من الآية ٣٤.

(٢) ص ٢٩٤.

ميزانية الفاتيكان قبل القرن (١٩م)، فعالم الفاتيكان سرى شديد السرية - وليس ذلك فحسب، بل إن كلمة ميزانية لم يكن لها ورود فى هذا العالم الذى لم يعرف لا الإيصالات ولا السجلات ولكن الثابت فى التاريخ أنه منذ (١٨٧١م) قررت الحكومة الإيطالية منح الفاتيكان مبلغاً سنوياً قيمته (ثلاثة ملايين ليرة إيطالية من الذهب) وهذا المبلغ ظل الكرسى الرسولى يرفضه لخلاف على السلطة بينه وبين الحكومة الإيطالية، وحتى تمت المصالحة بينهما (١٩٢٩م) قبض الفاتيكان هذا المبلغ الضخم الذى كان قد تراكم على مدى ٥٨ عاماً.

وبالإضافة إلى هذا المبلغ الكبير وقتئذ اعتمد الفاتيكان - ولا يزال - على المعونات التى يتلقاها من المسيحيين فى شتى أنحاء العالم، وإنه لمن الصعوبة بمكان معرفة قيمة هذه المعونات ولو بالتقريب ... ولكن الثروة الحقيقية للفاتيكان ليست فى كل هذا ولا ذاك، إنها تتمثل فى تلك الأرباح الطائلة التى تجنيها من تجارة الرأسماليين هنا وهناك، ومن تجارة السوق المالية والعقارات العديدة التى تمتلكها فى شتى أنحاء العالم ... فضلاً عن علاقتهم الممتازة بالعديد من البنوك حيث التعامل أو امتلاك أقساط أو أسهم كبيرة ... كما أن المعلومات المتداولة فى الأوساط المطلعة تجعل من الفاتيكان أقوى مؤسسة مالية فى إيطاليا"(١).

وبعد: فكيف للعقل - إذن - أن يصدق بأن من وصفوا بأنهم رجال الدين وحاملين للوائه بأنهم يمتلكون كل هذه الأموال الطائلة؟! والثروات المتراكمة؟! فإن العقل لا يستطيع إلا أن يقبل بأن هؤلاء كانوا ومازالوا تجار

(١) على عتبات الفاتيكان، ص ١٣ وما بعدها.

بالدين ومستغلين له أسوأ استغلال، حيث جعلوه البرواز الخارجى فقط لتحقيق كل أطماعهم السياسية والاقتصادية بل الإقطاعية التى لا تقف عند حد.

ج- ومما يؤكد على مدى الاستغلال السيئ للدين من قبل دولة الفاتيكان ما تقوم به من "حملات التنصير" فى كل أنحاء العالم وأفريقيا خاصة، تلك الحملات التى ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، حيث نجدها - مثلاً - تنفق ما يقرب فى أندونسيا عن (١٧٠ مليون دولار أمريكى) سنوياً، أما فى أفريقيا فحدث ولا حرج "فالكونغو" وحدها أنشأ الفاتيكان بها أكثر من (٢٠٠٠) مدرسة ابتدائية لتضمن إعداد جيل مسيحى التوجه والعقيدة.

كما أن الفاتيكان كان وراء مذبحة (زنجبار) التى ضمت عنوة إلى (تنجانيقا) فى اتحاد يحمل اسم دولة (تنزانيا) وراح ضحية الانقلاب والمذابح (٢٣.٠٠٠) عربى مسلم من أبناء زنجبار وفى الحقيقة: إن الفاتيكان يساهم بحصة الأسد بمبلغ (بليون دولار أمريكى) تنفق كل سنة لكسب المعركة الدينية فى كل أفريقيا(١)، واضعاً نصب عينيه أن الذى سيكسب المعركة الدينية فى أفريقيا سيكسب معها نصف رصيد العالم من الثروات المعدنية والزراعية، ولم تقف عند هذا الحد من استغلال حركات التنصير التى تقوم بها بل تعدت ذلك باستغلالها سياسياً أيضاً حيث أضحت الكنائس لم تعد مجرد أبنية لممارسة الشعائر التعبدية والدينية وإنما انخرطت فى القضايا السياسية، ويظهر ذلك جلياً بالنظر إلى الكنائس الكاثوليكية فى أمريكا الوسطى ومنطقة الكاريبى حيث

(١) فى الحقيقة إننا لا نلم الفاتيكان عندما يسخر جزء من ثرواته لاستغلال الفقر والجهل والمرض بكل أنحاء العالم لنشر عقيدته، ولكن نلم المسلمون أصحاب الثروات الطائلة عندما يفعلون بها كل شئ سوى استغلالها حسب منهج مرسوم فى الدعوة الإسلامية (انظر: على عتبات الفاتيكان، ص ٦٦ وما بعدها).

ساعد هذا التنظيم الكنسى الكاثوليكى - فى الواقع - على مقاومة الشيوعية بل وإسقاطها والتعاون فى ذلك مع أجهزة الاستخبارات الغربية الأمريكية خاصة .C.I.A، فسقوط النظام الشيوعى فى بولندا كان جزءاً من رحلة أقامها البابا إليها عام (١٩٧٩م) حيث هبطت طائرته فى مطار "وارسو" ودقت الأجراس الكنسية فى أوربا الشرقية والوسطى، وحضر القداس الذى أقامه فى بولندا ثلاثمائة ألف شخص وكانت البداية لاهتمام "رونالد ريجان" والاستخبارات الأمريكية بالتعاون مع الفاتيكان لإسقاط هذه الأنظمة الشيوعية وقال غورديا تشوف عن دور الفاتيكان فى إسقاط هذه الأنظمة: "**يمكن للمرء أن يقول إن ما حدث فى أوربا الشرقية فى السنوات الأخيرة كان مستحيلاً بدون جهود البابا والدور الهائل الذى قام به من خلال الدور السياسى الذى لعبه على الساحة العالمية**"(١).

د- كما كان من أبرز الأدلة فى الآونة الأخيرة التى توضح أنهم غرقوا فى حسابات السياسة والسياسيين من الرأس حتى القدم ما نراه من تخليهم عن أبرز ما ورد فى كتابهم المقدس من دور اليهود الواضح فى النهاية المأسوية للسيد المسيح حيث أعلن بابا روما الكاثولكيى اعترافه بتبرئة اليهود من دم المسيح فى مجمع الفاتيكان المسكونى الثانى (١٩٦٢: ١٩٦٥م) وكان هذا الاعتراف اعترافاً سياسياً بهدف تكوين جبهة فى

(١) انظر: مجلة السنة العدد ٤، مقالات زيارة بابا الفاتيكان لمصر Centre for Islamic studies.

مواجهة الشيوعية من ناحية ومحاصرة الإسلام والإجهاز عليه من ناحية أخرى عن طريق إقرار مبدأ الحور مع الديانات غير النصرانية(١).

وأخيراً: بعد هذا الطواف السريع مع التيارات والاتجاهات السياسية وتأثيرها فى العقدية المسيحية، لابد أن نكون قد لمسنا الحقيقة بأنفسنا ووضعنا أيدينا عليها عارية عن ذلك المظهر الدينى الخارجى الذى دائماً يستخدمونه للتجميل.

ولكن قبل هذا أود أن ألفت النظر بأن ما أردت التحرى عنه والتأكد من صحته من خلال هذا البحث وهو مدى وقوع المسيحية كديانة رأساً وعقباً فى مخالب السياسة والسياسيين وكونها مسيسة منذ البدء إلى الانتهاء، هو ما يكرر نفسه اليوم أمامنا، وكأن التاريخ يرجع بنا إلى الوراء لتدور الأحداث من جديد، فاليوم يطالعنا الساسة الرؤساء الغربيون بأبشع أنواع الاستغلال الدينى لديانة كالمسيحية، إذ جعلوها أداة طيعة فى أيديهم ومظهر دينى يرتدوه ليستميلوا القلوب والوجدان، وليكتسبوا من وراءه المصداقية اللازمة لهم لتحقيق مآربهم الحقيقية من جاه ومال وسيطرة وبسط نفوذ واحتلال أرض ونفوس، كل ذلك تحت مسمى الدين وشعاراته.

وهذا ما يحدث بالفعل من دولة مسيطرة سياسياً ومهيمنة اقتصادياً كأمريكا، فهى تتحرك دائماً لنيل مآربها السياسية الخبيثة تحت مسمى الدين وترديد شعارات هى أبعد ما تكون عن إدراك مغزاها، فنراها تتوجه بالتشكيك والذبذبة وإشاعة التوتر والقلق حول الإسلام والمسلمين محاولة منها تزين

(١) وتعد وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح وكذا الاعتذار عن موقف الفاتيكان من ممارسة النازية ضد اليهود تعد دليلاً على هيمنة واختراق الصهيونية للمؤسسات الكنسية الغربية، ومؤشراً على زيادة النفوذ اليهودى، فى السياسة العالمية الغربية، حيث يتصاعد تيار الأصولية الإنجيلية.

المسيحية وتعميمها وبالتالى تعميم السيطرة والهيمنة المصاحبة دائماً لسلطان الدين.

ويتأكد ذلك من خطاب "بوش" الرئيس الأمريكى الحالى – النارية عن الحرب وعلى الإرهاب وتقسيم العالم إلى محور الخير ومحور الشر ومطاردة الأصوليين فى أبعد جحورهم الذى جعلهم من فئة المسلمين فقط.

فأصبحنا فى طريق يتحدث قائد السائرين فيه باسم الرب، ويضع مخاوفه على صليبه ثم يحول ذلك كله إلى قراءة جديدة لنبوءات العهد القديم.

فما فعله بوش فى عقول الناس يتلخص فى أنه شوه رؤيتهم للرب وللأديان كلها، حيث ادخل فى عقولهم بأن الرب وحده هو الذى أراد أن ينشر المسيحية فى الشرق الأوسط والعالم بأكمله، وأن ذلك ثابت فى أناجيلهم، فالكل صار يعود للاستناد على كتبه المقدسة بعد أن اهتزت كل الثوابت فى العالم، لكن أحداً لم يعد يحتمى بالأديان بل صار الكل يختبئ ورائها كأنها حصون منيعة تواجه بعضها البعض.

ولم يتردد هذا الرئيس فى تسمية حربه هذه "بالحروب الصليبية" لأن مصلحته تبغى هذا وهى أن يدخل فى عقول الأمريكان والعالم كله بأنها حرب دينية، لكى يقبلوا فيها أن يفقدوا أبناءهم وأقاربهم فى سبيل الرب.

والحق أنها لعبة سياسية مدنسة يريد هذا الرئيس أن يزيل دناستها بطهارة الأديان وقدسيتها، وأن يمنح الحرب غطاءاً دينياً فكانت النتيجة أن تشوهت الأديان كلها، وانقاد الأبرياء وراء تلك الأوهام بحثاً عن الجنة، أما بوش ورجاله فما كان بحثهم إلا عن كنوز الشرق كما فعل أجدادهم من قبل فى حروبهم الصليبية التى كانت دينية المظهر سياسية المغزى والمحتوى أيضاً.

فهل يعتبر المسلمون من أحداث الماضى، فالأرض هى الأرض وإن اكتسبت جمالاً عن ذى قبل، والموقع هو الموقع وإن اكتسب قيمة عن ذى

قبل، والصراع هو الصراع وإن اختلفت المسميات عن ذى قبل، والله نسأل أن يحفظنا مما هو آت.

الخاتمة

أهم نتائج هذا البحث:

١- أول ما يمكن استنتاجه من هذا البحث أن المسيحية التى ورد ذكرها فى طيات هذا البحث لم تكن أبداً المسيحية الحقة التى أتى بها المسيح – عليه السلام – من قبل الحق – تبارك ذكره – بل هى مسيحية بشرية صرفة، بل يحق لنا القول بأنها مسيحية سياسية صرفة بكل ما تحمل الكلمة من معنى وقصد.

٢- إن من ينظر فى التاريخ القديم وينقب فيه بطريقة عقلية مع تنحى الجانب العاطفى ويستعين – أيضاً – بما اكتشف من آثار وما حل من رموز، ويقدم النظرة الشمولية على النظرة الجزئية عن طريق الجمع بين الروايات المتعددة والنظر فى الكتابات المتباينة عقدياً وسياسياً سيصل حتماً إلى ما وصلت إليه من تطويق السياسة للمسيحية بدءًا وانتهاءاً، حيث استغلت أسوء استغلال كمظهر دينى لتحقيق مآرب سياسية ارتضاها أصحابها من القادة السياسيين.

٣- إن جيش أبرهة الذى توجه منذ الزمن البعيد إلى شبه الجزيرة العربية محاولة لتنصيرها لم يكن إلا بتوجه سياسى من قبل الروم الذين أرادوا من وراء ذلك تطويق شاطئ البحر الأحمر كرد فعل لتطويق الفرس لشاطئ الخليج العربى.

٤- إن القمع والتعسف السياسى والدينى الذى لاحق المسيحية عبر أزمنة متطاولة لم يترك لأنصارها فرصة كافية لمعايشة تعاليم عيسى السمحة أو الاحتفاظ بها فى العقول فضلاً عن عدم تدوينها.

٥- إن حياة عيسى منذ البدء حيث المولد إلى النهاية حيث الخاتمة التى نعلمها جميعاً كانت فريسة فى شباك السياسة والسياسيين، ففى المولد خشى الحاكم على ملكه من هذا المولود الذى أشاع له اليهود بأنه ستكون نهاية ملكه على يديه فخرج بكل قوة للنيل من هذا المولد حفاظاً على سلطانه أن يزول، وعلى عرشه أن يهتز. وفى النهاية خشى اليهود من تقويض نفوذهم السياسى وانسحاب البساط من تحت أرجلهم بوجود رجل صالح ونبى كريم كعيسى بين الناس، فأخذوا فى تدبير المكايد والوشاية به إلى الحكام للتخلص منه وقد كان.

٦- إن الاضطهادات التى تعرضت لها المسيحية كانت من أهم التيارات السياسية التى أخرجت الرسالة السماوية التى أتى بها عيسى من مسارها الصحيح وألقت بها فى غياهب الظلمات حيث انغمست بها فى معميات الوثنية الرومانية والفلسفة الإغريقية والأفلاطونية المحدثة، حينما جردتها من أسلحة الدعوة الصحيحة، ومقومات الرسالة السماوية.

٧- ظهور شخصيات سياسية أكملت الطريق مع المسيحية الوليدة، واستغلتها كوسيلة من ضمن وسائلها لبلوغ غايتها المرجوة، وهى الحفاظ على مقومات الحكم وتحقيق السيطرة والهيمنة على كل أرجاء الإمبراطورية كقسطنطين الملك الرومانى الذى كان له باع سياسى طويل مع المسيحية، حيث استطاع بما أوتى من دهاء ومكر أن يكسب من ورائها سياسياً إلى أبعد مدى ممكن، ولم يكتف بذلك بل أورث ذلك لأبنائه من بعده وكأنه أرسى قاعدة عامة وميراث شرعى يسلمه كل إمبراطور لمن بعده وقد كان بالفعل.

٨- مدى فاعلية دور المجامع التى تعد حقاً من أهم العوامل السياسية التى شكلت وجه المسيحية الجديد، إذ هى التى فلحت الأرض لتبذر بذور تلك المسيحية التى سادت أفكار المسيحيين فى الأجيال من بعد.

٩- إن المجامع خاصة المسكونية منها كانت مجامع سياسية أقرب منها دينية، ويرجع ذلك إلى أنها لم تكن فى يوم ما منظمة دينية صرفة بل تدين بوجودها للسلطة الإمبراطورية، حيث احتفظ دائماً الإمبراطور بحق الدعوة لها، وهو بنفسه الذى يقرر جدول المسائل التى يناقشها المجمع ويصادق على قراراتها بالموافقة الإمبراطورية.

١٠- إن الصراع الكنسى بوجوهه المتعددة يعد من أفضل ما يجسد لنا دور التيارات والاتجاهات السياسية على الديانة المسيحية.

حيث إذ توقفنا لوهلة قصيرة نتأمل فيها وجوه هذا الصراع سوف نصتدم حقاً بالوجه الحقيقى لهؤلاء الرجال الذين يدعون زيفاً بأنهم رجال الدين وأنصاره، حيث لم نجد أمامنا إلا أقنعة زائفة بمجرد أن نزيلها - تظهر لنا حقيقتها السياسية الماكرة، ومدى أطماعهم وتعلقهم الزائف بالحياة الدنيا، أما الدين فهو أبعد ما يكون عن تفكيرهم.

أهم المصادر ومراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الكتاب المقدس بعديهه (القديم والجديد).

٣- أحمد شلبى (دكتور): المسيحية، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٧٧م، الناشر مكتبة النهضة المصرية.

٤- إدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد على أبو دره، دار الكتاب العربى للطباهة والنشر، ١٩٦٩م.

٥- أفتيشيوس المكنى بسعيد بن البطريق: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق المسمى بتاريخ "ابن الطبريق"، طبع فى بيروت بمطبعة الآباء اليسوعين، سنة ١٩٠٩م.

٦- أ. موريسون: تاريخ حياة مارتن لوثر، ترجمة باقى صدقى، ط. ثانية عن دار الثقافة المسيحية.

٧- برتداند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط. ١٩٥٧م.

٨- توفيق الطويل (دكتور): قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام، الزهراء للإعلام العربى، طبعة أولى ١٤١٢هـ١٩٩١م.

٩- حبيب سعيد: عشرون قرناً فى موكب التاريخ.

١٠- حنا جرجس الخضرى (قس): مارتن لوثر "حياته وتعاليمه"، دار الثقافة، ط. ١٩٧٧، دار الحبيب للطباعة

..... : تاريخ الفكر المسيحى، دار الثقافة للنشر، ط. أولى ١٩٨١، مطبعة دار نوبار.

١١- رحمه الله الهندى: إظهار الحق دراسة وتحقيق د. محمد أحمد عبد القادر خليل المكاوى، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء وكالة الطباعة والترجمة، الرياض، ط. ثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٢- رؤف شلبى (دكتور): يا أهل الكتاب تعالوا، الناشر مكتبة الأزهر، ط. أولى ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

١٣- زكى شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط، ج١، الطبعة الثانية ١٩٦٨م، مطابع البلاغ بالقاهرة.

١٤- سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، الطبعة الأولى ١٩٦٣م، طبع ونشر مكتبة الأنجلو المصرية،ج١.

.....: وأوربا العصور الوسطى، ط. ١٩٨٦، مكتبة الأنجلو المصرية.

١٥- سليم سليمان (القس): تاريخ الأمة القبطية "الحلقة الثانية" تأليف لجنة التاريخ القبطى، ط. التوفيقية ١٩٣٢.

١٦- سيد عبد العزيز سالم: تاريخ العرب فى عصر الجاهلية، ط. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١م.

١٧- شارل جينبرت: المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الإمام عبد الحليم محمود، دار المعارف.

١٨- عوض سمعان: العشاء الربانى كنيسة الأخوة.

١٩- فشر: هـ. أ. ل. فشر: تاريخ أوربا العصورالوسطى تعريب أحمد نجيب هاشم، وديع الضبع، الطبعة السابعة، دار المعارف، ط. ١٩٧٦م.

٢٠- كرستوفرودس: تكوين أوربا ترجمة ومراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، محمد مصطفى زيادة.

٢١- كريوس كيربوس: الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة، مطبعة القبر المقدس المختصة بدير الروم العامر، سنة ١٨٦٧م.

٢٢- كيرلس الأنطوانى: عصر المجامع طبعة أولى ١٩٥٢، المطبعة التجارية الحديثة.

٢٣- لويس غردية: فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية ج قنواتى ترجمة د. صبحى صالح.

٢٤- مايل وريرتن: صراع عبر الزمان أو المسيحية معركة متواصلة، نقله إلى العربية القس إيليا خورى صدر عن دار التأليف والنشر الكنيسة الأسقفية بالاشتراك مع المجمع المسيحى للشرق الأدنى بدون ذكر للطبعة.

٢٥- محمد أبو زهرة (الشيخ): محاضرات فى النصرانية، ط. الرابعة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، الناشر دار الفكر العربى، مطبعة أحمد على مخيمر.

٢٦- محمد رجب الشتيوى: النصرانية دراسة مقارنة، ط. أولى ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، دار الطباعة المحمدية.

٢٧- محمد عيسى داود: على عتبات الفاتيكان وعتبات أخرى، البشير للنشر والتوزيع.

٢٨- محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة، ط. دار الشروق.

٢٩- محمد مجدى مرجان: الله واحد أم ثالوث، دار النهضة العربية للنشر، ط. ١٩٧٢م.

٣٠- محمد كمال الدسوقى (دكتور): تاريخ ألمانيا، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠م.

٣١- مجموعة من رجال الفكر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية.

٣٢- مصطفى صبرى: تاريخ الرومان، ط. المحروسة بمصر، ١٣٢٩هـ.

٣٣- موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة.

٣٤- موريس يقادينى: تاريخ الكنيسة، ترجمة الأب ج. عفيفى اليسوعى، منشورات معهد المعادى، ط. ١٩٦٥م، مطبعة دار المعارف بمصر.

٣٥- المسعودى: أبى الحسن على بن الحسن المسعودى، التنبيه والإشراف، ط. ١٩٦٧م، طبع بمطبعة بريل.

٣٦- نعمة الله العندارى: سلاحك أيها المسيحى "الدفاع عن الدين المسيحى وشرح حقائقه وتفنيد الاعتراضات ضده"، ج١، طبعة ١٩٢٩م، مطبعة المرسلين اللبنانيين، جوتية، لبنان.

٣٧- الندوى: أبو الحسن الندوى: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مقدمة سيد قطب، مكتبة السنة، طبعة جديدة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٣٨- هنرى ثيسن: محاضرات فى علم اللاهوت النظامى، دار الثقافة المسيحية مطبعة دار الجيل، طبعة ١٩٧١م.

٣٩- ول ديورانت: قصة الحضارة لجنة التأليف والترجمة والنشر فى جامعة الدول العربية.

٤٠- ويلز: هـ. ج. ويلز: معالم تاريخ الإنسانية ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الطبعة الثالثة، ١٩٧٢م.

.....: موجز تاريخ العالم، الناشر مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة بمصر، ترجمة عبد العزيز جاويد، مراجعة محمد مأمون نجا، ط. ١٩٥٨.

٤١ – يوحنا سلامه: اللألئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، ج١، مطبعة عين شمس.

٤٢ – يوسابيوس القيصرى: تاريخ الكنيسة، ترجمة القمص مرقص داود مكتبة المحبة، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.

٤٣ – أحد رهبان دير السيدة موريس فى برية مقاريوس: الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة، ج.١

٤٤ – مجلة السنة العدد ٩٤ محرم ١٤٢١هـ/إبريل ٢٠٠٠م، مقالات (مركز الدراسات الإسلامية من شبكة الإنترنت).